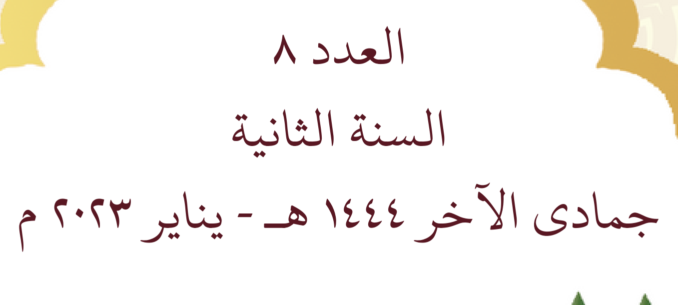


العدد ٨

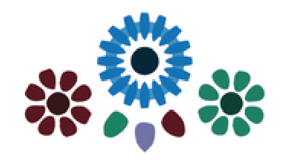
السنة الثانية

جمادى الآخر ١٤٤٤ هـ - يناير ٢٠٢٣ م



مجلة سُنيَّة صوفية إلكترونية تصدر عن

مؤسسة الصديقيّة للخدمات الثقافية والاجتماعية

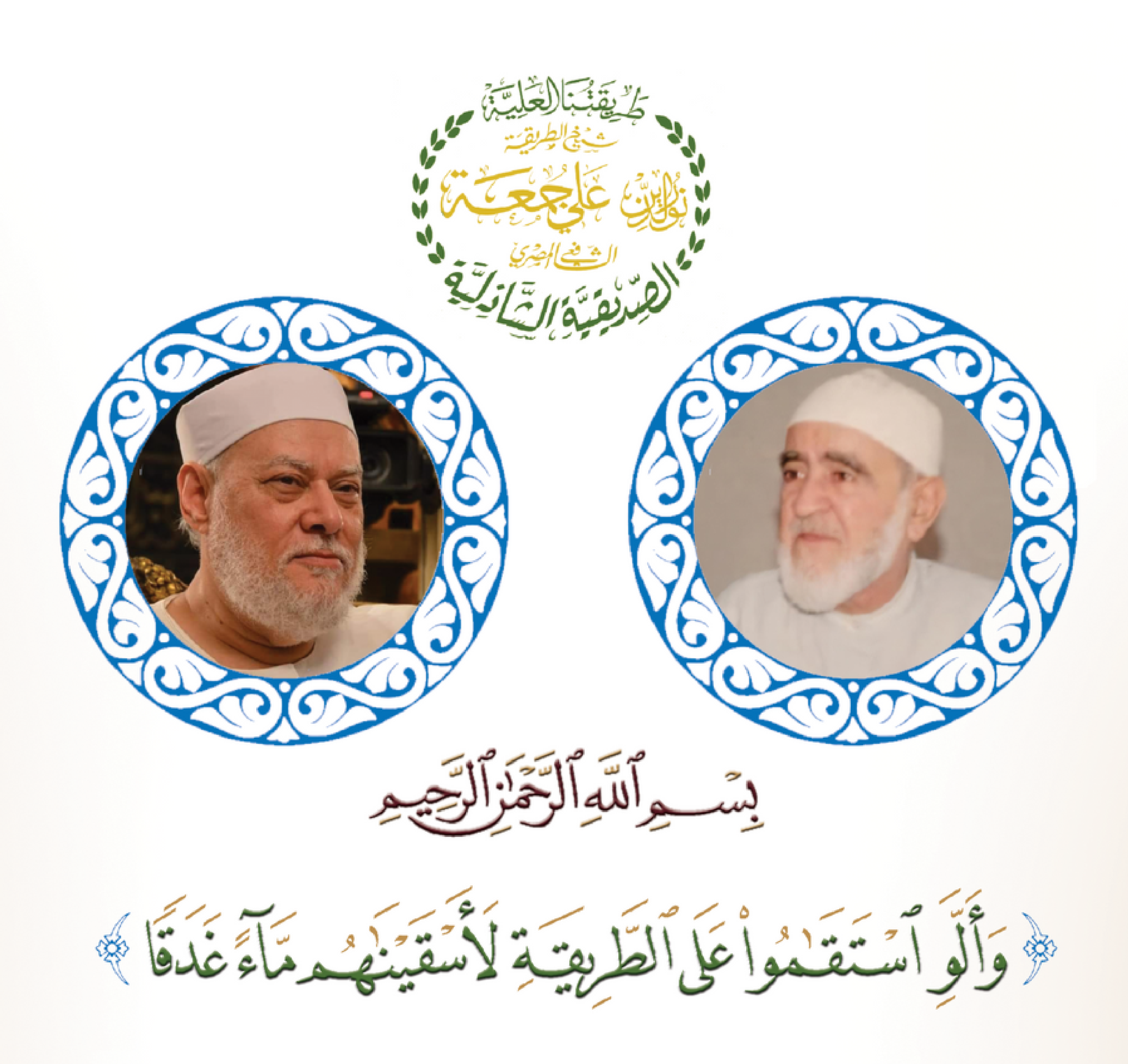


تحت إشراف

الأُسْتَاذ الدّكتُوْر عَلي جُمعَة

عُضو هَيئةِ كِبَار العُلمَاء بالأزْهَر الشَريْف





مجلّة سُنِّية صوفيّة الكترونية تصدر عن

مؤسسة الصديقيّة للخدمات الثقافية والاجتماعية

الـمشهرة برقم ٩٣٢ لسنة ٢٠٢٠

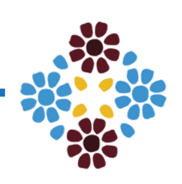
المحتويات



العدد ٨ - السنة الثانية - جمادى الآخر ١٤٤٤ هـ - يناير ٢٠٢٣ م

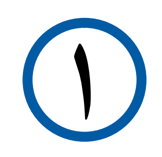


المحتويات



العدد ٨ - السنة الثانية - جمادى الآخر ١٤٤٤ هـ - يناير ٢٠٢٣ م





افتتاحية العدد

أ.د/عَلي جُمُعة

عضو هيئة كبار العلماء بالأزهر الشريف

شيخ الطريقة الصديقية الشاذلية

facebook.com/DrAliGomaa



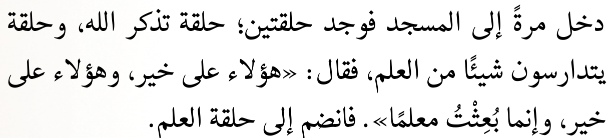


المسيح رمز السلام

كان رسول الله ﷺ يتعهد صحابته الكرام والأمة من بعدهم بالموعظة، وكان يتعهدهم برواية القصص، وكان يتعهدهم بتعاليم الشريعة الشريفة، وكان يتعهدهم بتربيتهم على الأخلاق الحميدة، وكان يتعهدهم بمواقفه التي لا تنسى. ونقلوا كل ذلك إلى الأمة من بعده ﷺ، فكان معلمًا للبشرية، ﴿وَمَا أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ﴾.

كان النبي ﷺ يجلس إلى صحابته، فيتحلقون حوله، وَيُعَلِّم الرواد منهم؛ حتى يُعَلِّمُوا مَنْ بعدهم، وبنى أمته على هذا العلم، فقال: «بلغوا عني ولو آية»، وقال ﷺ: «مَنْ سلك طريقًا يلتمس فيه علمًا، سَهَّلَ الله له طريقًا إلى الجنة».

دخل مرةً إلى المسجد فوجد حلقتين؛ حلقة تذكر الله، وحلقة يتدارسون شيئًا من العلم، فقال: «هؤلاء على خير، وهؤلاء على خير، وإنما بُعِثْتُ معلمًا». فانضم إلى حلقة العلم.



كان يتعهد أصحابه بالموعظة، ومن الموعظة: ذِكْرُ القصة، وكان يريد أن يعلمنا أن أمة الله سبحانه وتعالى واحدة، من لدن آدم وإلى مبعث رسولنا الكريم، وإلى يوم القيامة، فكان يذكر لنا قصص الماضين؛ لأن أخلاقهم ينبغي أن نتعلم منها أخلاقنا، ولأن شريعتهم في ما اختصوا به تناسبت مع أزمانهم، أما في أخلاقهم فإنها تعبر الزمان والمكان، وتكون في كل الأحوال لجميع الأشخاص.

أشعرنا رسول الله ﷺ أننا لسنا في صدامٍ مع العالم، وأننا لسنا في صدامٍ مع أحد، وأننا نفتح قلوبنا وأيدينا للناس من حولنا؛ لأن هؤلاء هم عملاؤنا، هم الذين نعمل عليهم، حتى يهديهم الله سبحانه وتعالى على أيدينا، فكان رسول الله ﷺ يقول: «لئن يهدي الله بك رجلًا واحدًا، خيرٌ لك مِمَّا طلعت عليه الشمس وما غربت»، والتاجر يحافظ على عملائه؛ ولذلك فالمسلم يحافظ على كل الخلق، لأن كل الخلق إنما هم من عملائه الذين يريدُ أن تصل إليهم كلمة الله، قال تعالى: ﴿وَمَا أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةٗ لِّلنَّاسِ﴾.

وكان مِمَّا ذكر من قصصٍ كثيرة، فاقت أكثر من خمسين حديثًا، يذكر فيها رسول الله ﷺ قصصَ السابقين؛ حتى نستفيد منها، فيما أخرجه البخاري وأحمد، قال رسول الله ﷺ: «لم يتكلم في المهد إلَّا ثلاثة: عيسى ابن مريم، ورجلٌ من بني إسرائيل كان يُدْعَى: جُرَيْج»، إذن فالأول: عيسى ابن مريم عليه السلام، لم يقف عنده رسول الله ﷺ كثيرًا؛ لأن قصته مذكورةٌ في القرآن، ذلك الذي كان يوم مولده عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام يوم سلام، ﴿وَالسَّلَامُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدْتُ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا﴾.

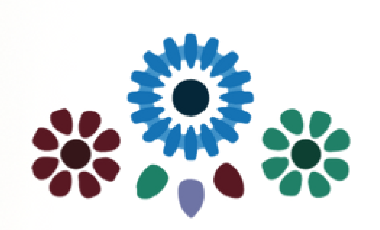
هذا اليوم الذي ذُكِرَ في القرآن؛ استبشارًا بكلمة الله، نور الأنوار، وسر الأسرار، سيدنا عيسى الذي اختلف عليه البشر؛ منهم: مَنْ كَذَّب واتّهم، ومنهم: مَنْ غالى فعبد، ومنهم: مَنْ عرفَ الحقَّ فآمن. سيدنا عيسى : حبيب الرحمن، وهو نبيٌّ من أنبيائنا؛ ولذلك فَمَنْ أنكره، أو تطاول عليه فقد كفر، كفر كفرًا ينقله عن الملة، كفر كفرًا لم يبقه بعد ذلك مسلمًا. سيدنا عيسى: كان مُبَرَّئًا من كل عيبٍ ونقصٍ وشينٍ، لم يفعل شيئًا في حياته إلَّا وقد رَضِيَ اللهُ عنه.

ولذلك نرى الإمام الغزالي في كتابه «إحياء علوم الدين»: يُكْثِرُ من ذِكْرِ عيسى، ومن ذِكْرِ قصصه، ومن ذِكْرِ أخلاقه، ومن ذِكْرِ مواقفه، برواياتٍ هي من روايات المسلمين، فيعلي من شأنه، ويتعلم منه. أكثر جدًّا في «الإحياء» من ذِكْرِه عليه السلام. وهو ممن نطق في المهد، وهي معجزة تلفت الأنظار، وترقق القلوب؛ فإن الله أجرى العادة في بني البشر: ألَّا ينطق الطفل الرضيع في مهده.

سبحانه وتعالى لم يجعل النطق من شأن الأطفال، بل جعل النطق من شأن مَنْ يستطيع أن يفكر، وأن يرتب المقدمات للوصول إلى النتائج.

ولذلك لَمَّا ترجم المسلمون هذا العلم من أرسطو، أسموه بعلم المنطق؛ لأنه علمٌ يحفظ الذهن عن الخطأ، كما يحفظ النحو اللسانَ عن الخطأ.

ومن الخطأ ألا نعرف قدر سيدنا عيسى عليه السلام، فالمسلم يعتقد في سيدنا عيسى عليه السلام النبوَّة والرسالة وأنّه روح الله وكلمته ألقاها إلى مريم عليها السلام، وأمّه صِدّيقَة، وأن يوم مولده يوم سلام بنصّ القرآن، وحثّنا القرآن على أن نتذكر أيّام الله ﴿وَذَكِّرْهُم بِأَيَّىٰمِ ٱللَّهِ﴾ ومن أيّام الله يوم مولد هذا النبي الكريم عليه السلام، ولمّا دخل رسول الله ﷺ المدينة وجد يهود يحتفلون بنجاة موسى بيوم عاشوراء، فقال: «نحن أولى بموسى منهم»، فالمسلم أولى بالأنبياء وبالاحتفال والاحتفاء بهم من كل أحد في كل وقت.









سلسلة خواطر حول
أَسْمَاْءُ اَللّهِ الحُسْنَىْ (١)

د/ مجدي عاشور

facebook.com/DrMagdyAshour

قال رسول الله ﷺ: «إن لله تسعة وتسعين اسما مائة إلا واحدة من أحصاها دخل الجنة»(أخرجه الترمذي وغيره)، واختلف العلماء حول معنى أحصاها، ما المراد منها؟ فأقل شيء قيل فيه : حفظها . ومن لم يستطع حفظها يرددها كل يوم سيحفظها لأن ما كان من نور سينطبع في النور، أي الروح؛ لأن الروح نور.

والسؤال الآن : ما فائدة الحفظ والتعلق بأسماء الله الحسنى؟

إن أسماء الله الحسنى جاءت بركة لنا حتى نتعلق بالله عزوجل من خلالها، والعجيب أنها جاءت لكل أحوال الإنسان، فما يمر عليك حال من الأحوال أو موقف من المواقف، سواءً أكان أمر فيه شدة أو لين أو قوة أو ضعف أو عزة أو ذل، أو حال الحياة أو حال الوفاة، إلا ولك نصيب في أسماء الله الحسنى؛ ولا يوفق إليها إلا من يدعو الله عزوجل عندها وبها .

فالصالحون حال الاحتضار كانت عندهم آيات مخصوصة بها التعلق بشيء من أسماء الله الحسنى، يقرؤونها دلالة على حسن الختام، ومما يُحكَى عن سيدنا الشيخ صالح الجعفري - رضي الله عنه - أنه عند الانتقال تلا قول الله تعالى: ﴿إِنَّ وَلِيِّيَ اللَّهُ الَّذِي نَزَّلَ الْكِتَابَ وَهُوَ يَتَوَلَّى الصَّالِحِينَ﴾[الأعراف: ١٩٦]؛ وقيل هذا أيضا عن سيدنا الشيخ عبد الحليم محمود شيخ الإسلام رضي الله عنه.

وقد حدث هذا مع مؤمن آل ياسين الذي جاء على لسانه في القرآن الكريم قول الله تعالى : ﴿قِيلَ ادْخُلِ الْجَنَّةَ قَالَ يَا لَيْتَ قَوْمِي يَعْلَمُونَ . بِمَا غَفَرَ لِي رَبِّي وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُكْرَمِينَ﴾[يس: ٢٦ - ٢٧]

لذا تصور أن حال رَجُلٍ ينتقل ولا يحفظ القرآن، فيقرأ الفاتحة بما فيها من أسماء لله تعالى - وهذا لأنه موفق من الله- وكأنه في صلاة، ومتعلق بذلك. حكي أحد الأطباء:

أن أحدهم دخل المستشفى مصابا بالزهايمر - نسأل الله العفو والعافية - وكان ممن يحفظ أسماء الله الحسنى ولا يعرف أي شيء غيرها، فلا يعرف اسمه ولا ولده ولا أين يسكن ولا أي شيء مَرَّ به، ومع ذلك كان يردد أسماء الله الحسنى دون سواها.

فأسماء الله تعالى شأنها شأن القرآن الكريم؛ إذا هي منه، فكانت طبعة لا تمسح؛ لأن القرآن نور، والروح نور لأنها نفخة من الله فلا تموت، فيلصق القرآن في الروح لتناسقهما فكلاهما نور، فالروح تظل إلى أبد الآباد مهما حدث؛ لأنه لصق بما له ابتداء وليس له انتهاء - أي الروح - كذلك المتعلق بأسماء الله الحسنى أو أسماء سيدنا النبي ﷺ، تجده كذلك عند احتضاره يذكرها كلها؛ (فمن عاش على شيء مات عليه . ومن مات على شيء بُعِث عليه"، ﴿وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا﴾[الكهف:٤٩].



أي فمن فرغ نفسه لهذا الشيء واستمر عليه يموت عليه، وآية ذلك الحاج الذي مات مثلا لا يغَطَّى رأسُه؛ لأنه سيأتي يوم القيامة مُلَبِّيًا، فكان في حالة واستمر عليها إلى قبض الروح.

سيدنا ثابت البُناني كان يقرأ القرآن وهو في قبره، وهذه كانت دعوته أن يوفقه الله لأن يقرأ القرآن وهو في قبره، والذي أوصله لذلك أنه أحب القرآن لله ولرسوله، فلما وصل لدرجة الحب أعطاه الله ما أراد، فمن وصل لهذا سيوفقه الله ليصنع ما كان يحب في قبره وأعلى منه في الجنة

فلما انتقل قال بعض الصحابة وكثير من التابعين: لقد دفناه وآخر صاحب قرع نعل سمع صوت ثابت يقرأ القرآن في قبره.

فمن أحب القرآن وأخذه منهجا رأى النور الذي فيه وليس بعين البصيرة فقط بل بعين البصيرة والبصر، فالذي يقرأ القرآن في القبر هو الروح المنيرة التي لصق فيها نور القرآن.

كذلك الذاكرون المتعلقون الذين في وجوههم نور حتى ولو كانت بشرتهم سوداء، وتعرفهم من تحت أعينهم - كما علمنا أهل الله- تجد نورا تحتها، من كثرة ذكره لله وصلاته وسلامه على رسول الله ﷺ.

لذا نحفظ أسماء الله الحسنى لنتعلق بها؛ حتى وإن كنت من حفظة كتاب الله تعالى؛ لأن ترجمة القرآن في أسماء الله الحسنى، وبها التعلق والتخلق والتحقق، ولذلك جاء النص القرآني القاطع آمرًا بأن ندعو الله تعالى بأسمائه، فهذا أرجى لقَبول الدعاء، قال سبحانه : ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا﴾ [الأعراف:١٨٠].

فأنوار القرآن في أسماء الله الحسنى فادعُ بما شئت منها أو بها ستجد حالك موجودا في أحد هذه الأسماء، فسَكِّن نفسَك به، وتَعلَّق وتخلق وتحقق بآثاره.

وزُبدة القول: أنك إذا تعلقت بأسماء الله الحسنى وذكرتها وعددتها كل يوم جل ربنا أن يحجبها عنك حال احتضارك بل ستلقاه بها – أي بأسمائه وصفاته - وإن لقيتَهُ بها فأنت من السعداء بهذا الشيء الذي أوله الله وآخره الله وأنت في وسطه.

وهنا لا تخف من القبر لأنك ستنوِّر قبرك، فكم من قومٍ استناروا بآثار صفات الله ذات الجمال، فدخلوا قبورهم فتنورت بهم وكانوا سعداء بهذا النور؛ بل ويُسْعِدون مَن يَنْزلون عليهم من أهل المقابر، وكم قد حَكَى ذلك أهل الله من أهل الكشف والولاية



العهد عند السادة الصوفية

شيخ/ أشرف سعد الأزهري

من علماء الأزهر الشريف

العهد في اللغة

يرجع العهدُ في اللُّغة إلى عدةِ معانٍ منها: الوصيَّة، والضَّمان، والأمر، والوفاء، والأمانُ.

والعهد: كلُّ ما عُوهِدَ عليه الله، وكلُّ ما أَمر به ونهى عنه، وكلُّ ما بين العباد من المواثيقِ والارتباطات فهي عهودٌ، وفي الحديث: «وأنا على عَهدِكَ ووَعدِكَ ما استطَعتُ»[1]. أي: مقيمٌ وباقٍ على العهد الذي عاهدتُ عليه الله من الإيمانِ والتَّوحيد والتَّسليم[2].

قال ابنُ فارسٍ: «أصلُ هذا الباب عندَنا دالٌّ على معنًى واحدٍ، وقد أومأ إليه الخليلُ قال: أصلُه الاحتفاظُ بالشَّيء وإحداثُ العَهدِ به، والذي ذكره من الاحتفاظِ هو المعنى الَّذي يرجعُ إليه فُروعُ البابِ»[3].

العهد في الاصطلاحِ الصوفي بشكلٍ عامٍّ: هو صورةٌ من صُور الالتزامِ بين المريدِ والشيخِ على التَّوبة والاستقامة والإنابةِ والتَّوجُّه إلى الله تعالى، وما يتبعُ ذلك من الالتزام بالعباداتِ والفُروضِ والنَّوافل والمُجاهداتِ والذِّكرِ وعدمِ الغفلةِ عن ذلك، والبُعدِ عن الشَّهوات ومُحاسبةِ النَّفس والإقبالِ على الله، فيتحقَّقُ بهذا الالتزامِ التأكيدُ على الانتقالِ من حالٍ إلى أخرَى، ومن مرحلةٍ إلى مرحلةٍ جَديدةٍ في حياةِ المريد السَّالك.

والعهدُ الصوفيُّ له صورتان؛ صورةٌ ظاهريَّةٌ وهي التي بين المريد والشَّيخ، وصورة باطنيَّة وهي بين العبدِ وربِّه سبحانه جرت ظاهريًّا على يدِ الشَّيخ، محاوِلًا المريدُ بذلك صحبةَ ومباركةَ أهل الخيرِ والصَّلاح والعبادة ومفارقةَ أهل السُّوء، فالعهد الحقيقي هو عهد الله سبحانه وتعالى، وأما العهد الظاهر بين الشيخ والمريد فما هو إلا صورة وتوثيق ورمز للعهد مع الله تبارك وتعالى، ولذلك جرت على ألسنة القوم عبارة العهد عهد الله، واليد يد الله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ الله يَدُ الله فَوْقَ أَيْدِيهِمْ فَمَن نَّكَثَ فَإِنَّمَا يَنكُثُ عَلَى نَفْسِهِ وَمَنْ أَوْفَى بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهُ الله فَسَيُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ [الفتح: ١٠]. والعهدُ أو البيعةُ قد تتنوَّع فيها الكلماتُ والجملُ المستخدمة في صورتها وهيئتها، ولكنَّها تتَّفق جميعًا في المضمون والحقيقة، والذي هو الاستقامة على طريق الله والتوجُّه إليه سبحانه، والتوبةُ والمداومةُ على التعاون على البِرّ والتقوى، والتَّأكيدُ على رباط الأخوَّة في الله وفي الطَّريقِ وفي طاعة الشيخ المربِّي فيما يأمر به من مراتبِ السَّير والسلوكِ.

أدلَّةُ مشروعيَّة العهد من كتاب الله وسنَّة رسول الله ﷺ وعَمَلِ الأمَّة

يوجدُ كثير من الأدلَّة على مشروعيَّة العهدِ والبيعةِ والالتزام بالسَّيْر في طريقِ الله وتلقينِ الذِّكر والحثِّ على المُداومةِ عليه.

١- جزء من حديثٍ أخرجه البُخاريُّ كتاب الدعوات، باب أفضل الاستغفار (٦٣٠٦) من حديث شداد ابن أوس.

٢- انظر: لسان العرب (ع. هـ. د) تأليف: جمال الدين ابن منظور الأنصاري- دار صادر- بيروت

٣- انظر: معجم مقاييس اللغة (ع. هـ.د) تأليف: أحمد بن فارس بن زكريا القزويني- تحقيق: عبدالسلام محمد هارون- دار الفكر-١٩٧٩م

فمِن كتابِ الله قولُه تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ الله يَدُ الله فَوْقَ أَيْدِيهِمْ فَمَن نَّكَثَ فَإِنَّمَا يَنكُثُ عَلَى نَفْسِهِ وَمَنْ أَوْفَى بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهُ الله فَسَيُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ [الفتح: ١٠]. وشيوخُ أهل التصوف هم ورثةُ المنهج المُحمَّدي في التَّزكية والإرشادِ والتَّربيةِ، فصورةُ العهد والبيعة ما هي إلَّا نوعُ تأسٍّ بالصُّورةِ المباركةِ التي كان رسولُ الله يفعلُها مع صحابتِه رضوانُ الله عليهم.

قال صاحبُ تفسير روح البيان: «المبايَعون ثلاثةٌ: الرُّسل، والشُّيوخ الورثة، والسَّلاطينُ، والمُبايِعُ في هؤلاء الثَّلاثة على الحقيقة واحدٌ وهو الله تعالى، وهؤلاءِ الثَّلاثة شُهودُ الله تعالى على بَيعةِ هؤلاء الأتْباعِ، وعلى هؤلاء الثَّلاثةِ الذين بايعُوهم شروطٌ يَجمعُها المُتابعةُ فيما أُمرُوا به، فأمَّا الرُّسل والشُّيوخُ فلا يأمرُونَ بمعصيةٍ أصلًا، فإنَّ الرسل معصُومونَ من هذا، والشيوخَ محفوظونَ، وأمَّا السَّلاطينُ فمَنْ لَحِقَ منهم بالشيوخِ كان محفوظًا وإلَّا كان مخذولًا، ومع هذا فلا يُطاع في معصيةٍ، والبَيعةُ لازمةٌ حتَّى يلقوا الله تعالى»[٤].

وأدِلَّةُ مشرُوعيَّةِ العهدِ والبيعةِ من السُّنَّةِ العديدُ من المواقِفِ التي حدثَتْ للصَّحابةِ رِضوانُ الله عليهم مع رسولِ الله ﷺ من التَّوبةِ وطلبِ النُّصح والذِّكرِ والأعمالِ الصَّالحةِ، وهذا هو جوهرُ وحقيقةُ العهد الصُّوفيِّ في الدلالةِ على طرق الخير والقربِ من الله والتَّحذيرِ من طرق الشَّر وما يبغضُه الله.

رَوى البُخاريُّ في صحيحِه عن عبادة بن الصَّامتِ رضي الله عنه أنَّ رسولَ الله ﷺ قال: «بَايِعُونِي على أنْ لا تُشرِكُوا بالله شَيئًا، ولَا تَسرِقُوا، ولا تَزنُوا، ولا تَقتُلُوا أولادَكُم، ولَا تَأتُوا ببُهتَانٍ تَفتَرُونَهُ بَينَ أَيدِيكُم وأَرجُلِكُم، ولَا تَعصُوا في مَعروفٍ، فمَن وفَّى مِنكُم فأَجرُهُ على الله، ومَن أَصَابَ مِن ذلكَ شَيئًا فعُوقِبَ في الدُّنيا فهو كفارةٌ له، ومَن أَصَابَ مِنْ ذلكَ شَيئًا ثُمَّ سَتَرَه الله فهُو إلى الله؛ إنْ شَاءَ عفَا عنه، وإنْ شاءَ عاقبَه». فبايعناهُ على ذلكَ[٥].

وعن بشر بن الخصاصيَّة رضي الله عنه قال: أتيتُ النَّبيَّ ﷺ لأُبايعَه قال: فاشترط عليَّ: «تَشهدُ أنْ لا إلَه إلَّا الله وأنَّ محمَّدًا عبدُه ورسولُه، وتصلِّي الخَمْسَ، وتصومُ رمضانَ، وتؤدِّي الزكاةَ، وتحجُّ البيتَ، وتُجاهِدُ في سبيلِ الله»[٦].

هذا، وقد تعارَفَ المشايخُ أهلُ التَّصوفِ عند أخذِ العهدِ والبيعةِ من المريدِ أن يلقِّنه الذِّكر، ويلتزم المريدُ بالمُواظبةِ على هذه الأورادِ والأذكارِ؛ اقْتداءً بالنَّبيِّ ﷺ في بيعتِه وتَلقِينِه الصَّحابة رضوانُ الله عليهم أجمعينَ، ولهذا صورٌ كثيرةٌ في السنةِ النبويَّة المطهَّرة منها:

عن يعلى بن شدَّادٍ قال: حدثني أبي شدَّادُ بن أوسٍ رضي الله عنه وعبادةُ بن الصَّامت حاضرٌ يُصدِّقه قال: «كنَّا عندَ رسولِ الله ﷺ فقال: «ارفَعُوا أَيدِيَكُم وقُولُوا: لَا إِلَهَ إِلَّا الله». فرفعنا أيدينا ساعةً، ثُمَّ وضَعَ رسولُ الله ﷺ يدَه، ثُمَّ قال ﷺ: «الحمدُ لله، اللَّهمَّ إنَّكَ بَعثتَنِي بهذِهِ الكَلِمَةِ وَأَمَرْتَنِي بِهَا، ووَعَدْتَنِي عليْهَا الجنَّة وإنَّكَ لَا تُخلِفُ المِيعَادَ». ثمَّ قال ﷺ: «ألَا أَبشِرُوا فإنَّ الله قَد غَفَرَ لَكُم»[٧].

ومن صور البيعة الفردية: رُوِيَ عن جرير بن عبدالله رضي الله عنه قال: قلتُ يا رسولَ الله اشترِط عليَّ فأنتَ أعلم بالشَّرط قال: «أُبَايِعكَ علَى أنْ تعبُدَ الله وحدَهُ ولا تُشرِكَ بِهِ شَيئًا، وتُقِيمَ الصَّلاةَ، وتُؤتِيَ الزكاةَ، وتَنصَحَ المُسلِمَ، وتَبرَأَ مِنَ الشِّرْكِ»[٨].

صُور البيعة والعهدِ في سلفِ الأمَّة وشيوخها الصَّالحينَ

وَرَدَ في كثيرٍ من تراجِمِ الأئمَّة وشُيوخِ أهل الطَّريقِ من تلقِينهم الذِّكرَ للمريدينَ، وأخذِ العهودِ عليهم، وإقامةِ الأربطَة وأماكنِ الخلواتِ، والدَّعوة والإرشاد والدِّلالة على الخير.

٤- انظر: تفسير روح البيان (٩/٢١) تأليف: إسماعيل حقي الحنفي- إستانبول- ١٩٢٦م.
٥- متفق عليه؛ أخرجه البخاري في كتاب الإيمان، باب علاقة الإيمان حب الأنصار (١٨) ومسلم في كتاب الحدود، باب الحدود كفارات لأهلها (١٧٠٩).
٦- أخرجه الطَّبرانيُّ في المعجم الأوسطِ (١١٢٦)، والحاكمُ في المستدرك (٢/٧٩). وقال: صحيحُ الإسناد ووافقه الذَّهبيُّ.
٧- أخرجه الإمامُ أحمد في مسنده (٤/١٢٤)، والطَّبراني في المعجم الكبير (٧١٦٣).
.(٣/٥٠٥)

يقول الإمام الشيخ: أبو عبدالله محمد بن محمد بن محمد العبدري الفاسي المالكي الشهير بابن الحاج في كتابه: المدخل: «وكان سيدي أبو محمد بن أبي جمرة - رحمه الله - يقول: سنة الأحباب واحدة يعني أن مشربهم واحد، وهو الاتباع وترك الابتداع ولا يظن ظانٌّ أن ما تقدم ذكره فيه إنكار لأخذ العهد من أهله لأهله بشرطه المعتبر عندهم؛ إذْ إنه عليه درج السلف الصالح نفعنا الله بهم ولا ننكر أيضًا الانتماءَ إلى المشايخ بشرطه، وهو أن يكون عند المريد شيخه، وغير شيخه بالسواء بالنِّسبةِ إلى الاتباع وترك الابتداع ويكون إيثاره لشيخه بسبب أنه كان وصوله إلى الله تعالى على يديه فيرى له ذلك فبهذا الاعتبار يقع التفضل لشيخه والاختصاص به دون غيره.

والحاصل من أخذ العهد هو أن يأخذ الشيخ العهد على المريد بأنَّه لا يراه الله حيث نهاه، ولا يفقده حيث أمرَه، وهذا هو زبدته وأصله وبقيت تفاريعُه على هذا الأصل قل أن تتناهى، وهي الأمانة التي عرضها الله تعالى على السَّموات والأرض والجبال فأبينَ أن يحملنها وأشفقنَ منها وحملها الإنسان إنه كان ظلومًا جهولًا»[٩].

أهميَّة وفوائدُ العهد في السلوك الصوفيِّ

قد يتساءلُ بعضُ الناس: ما الهدف من العهد؟ ألَّا يكفي النُّصحُ والإرشادُ وقبولُ ذلك وانشراحُ الصَّدرِ له والسَّمعُ والطَّاعةُ والتَّوبة من المعاصِي والتزامُ الطَّاعاتِ؟

فنقولُ: إنَّ ذلك كلَّه مطلوبٌ وواجبٌ، ولكن وجود العهد مع الشيخ المربِّي يكونُ بمثابةِ الإلزامِ على ذلك المنهجِ، وهو عبارةٌ عن رابطةٍ قلبيَّةٍ وروحيَّةٍ بين المُريدِ والشَّيخ، يقتبسُ منها المُريدُ الصُّوفيُّ النُّورَ الَّذي يُضيءُ له الطَّريقَ في السَّيرِ والسُّلوك إلى الله، فمع وُجودِ العهدِ يشعرُ الإنسانُ بضرورةِ الالتزام بالمنهج والطَّريق وأهميَّة المحافظة على التوبة والطاعة والقُربات، وإلَّا فسوف يتحوَّلُ الأمرُ في كثيرٍ من الأحيانِ إلى جلساتٍ أسبوعيَّةٍ من الوعظ والذِّكر قد يلتزمُ بها الشَّخص وقد لا يلتزمُ، وربما ألْحَق ذلك غفلةً وانقطاعًا وتقصيرًا وإهمالًا.

أمَّا مع وُجود العهدِ والبيعةِ مع الشَّيخ العارفِ المربّي على الطَّاعة لله ورسولِه والالتزامِ بآدابِ الطَّريقِ من التَّحلِّي بالأخلاقِ والآدابِ والتخلِّي عن الرَّذائلِ والمحافظةِ على حُدودِ الشَّريعةِ ظاهرًا وباطنًا، والمداومةِ على الذِّكر تجعل كلَّ ذلك أمرًا واجبًا، وتصيرُ الأذكارُ والأورادُ من ذكر الله والصَّلاة على رسول الله ﷺ من الواجباتِ الَّتي يجب أن يلتزمَ بها كلُّ مَن سلَك طريقَ التَّصوفِ. وهناك أسرارٌ روحانيَّةٌ في العَهدِ والبَيعةِ في المنهج الصُّوفيِّ؛ منها: أن رُوحَ الشَّيخِ العارفِ تكونُ ممدة لروح المريدِ بفُيُوضاتٍ وأنوارٍ وأمدادٍ متَّصلةٍ روحانيًّا بسلسلةٍ مرتَّبة وسندٍ متينٍ شيخًا عن شيخٍ إلى رسولِ الله ﷺ.

أهميَّة الشَّيخ في سلوك طريق التصوُّف

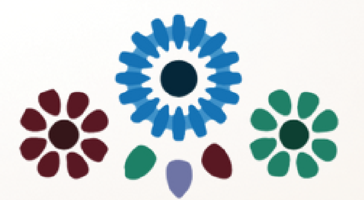
لو نظرَ الإنسانُ إلى عُلومِه ومعارفِه وثقافتِه التي يمتلكُها لوجدَ أنَّ الغالبَ منها يأتي بطريقِ التعلُّمِ والاستفادةِ من علوم الآخرينَ بجانبِ ما يفتحُه الله عليه، وقد تأكَّد بالمشاهدة المحسوسة في الحياةِ أنَّ كلَّ علمٍ وسلوكٍ لابدَّ له من وُجود ملقِّنٍ ودليلٍ لهذا العِلم وهذا السُّلوك، وبدونه لا يحصُلُ النَّفع المرجو، وقد يحدثُ خللٌ في أصل العِلمِ ومعلوماتِه وعدمُ انضباطٍ في السُّلوك العمليِّ. ونضربُ لذلك مثالًا:

الجنديُّ المقاتل باتِّصاله الدَّائم بقائده وتنفيذِ أوامره بحذافيرِها يحقِّق المطلوب منه، وبانفصالِه عنه لا يحقِّق الشَّيءَ المطلوبَ منه بالدِّقةِ المرجوَّة، بل ربَّما يكون الضَّررُ منه أكثرَ من نفعِه. فهذه فكرةٌ عامَّةٌ عن منزلةِ الشيخ ودَوْرِه في طريقِ أهل التصوفِ والسُّلوك، يحدِّدُ الطَّريق ويوضِّحُ معالمَه ويحذِّر من زلَّاته وحفره ومصاعبِه، فالشَّيخُ للمريدِ بمثابة الأستاذ للطَّالبِ والقائدِ للجنديّ، فلا يستطيعُ الفردُ أن يسلكَ طريقَ التصوُّف بمفردِه؛ لأنَّه طريقٌ صعبٌ مُتشعِّب المسالك، يتربَّص بسالكه أعداءٌ كُثر، ومِن هؤلاءِ الأعداء الشَّيطانُ والنَّفسُ والهوى وأهلُ السُّوء؛ لذلك لابدَّ لمن يسلك هذا الطريق الصَّعب مِنْ مرشدٍ أو هادٍ يأخذُ بيدِه وهو الشَّيخ.

٩- المدخل(٣/٢٠٨) تأليف: أبي عبدالله محمد بن محمد بن محمد العبدري الفاسي المالكي الشهير بابن الحاج دار التراث القاهرة

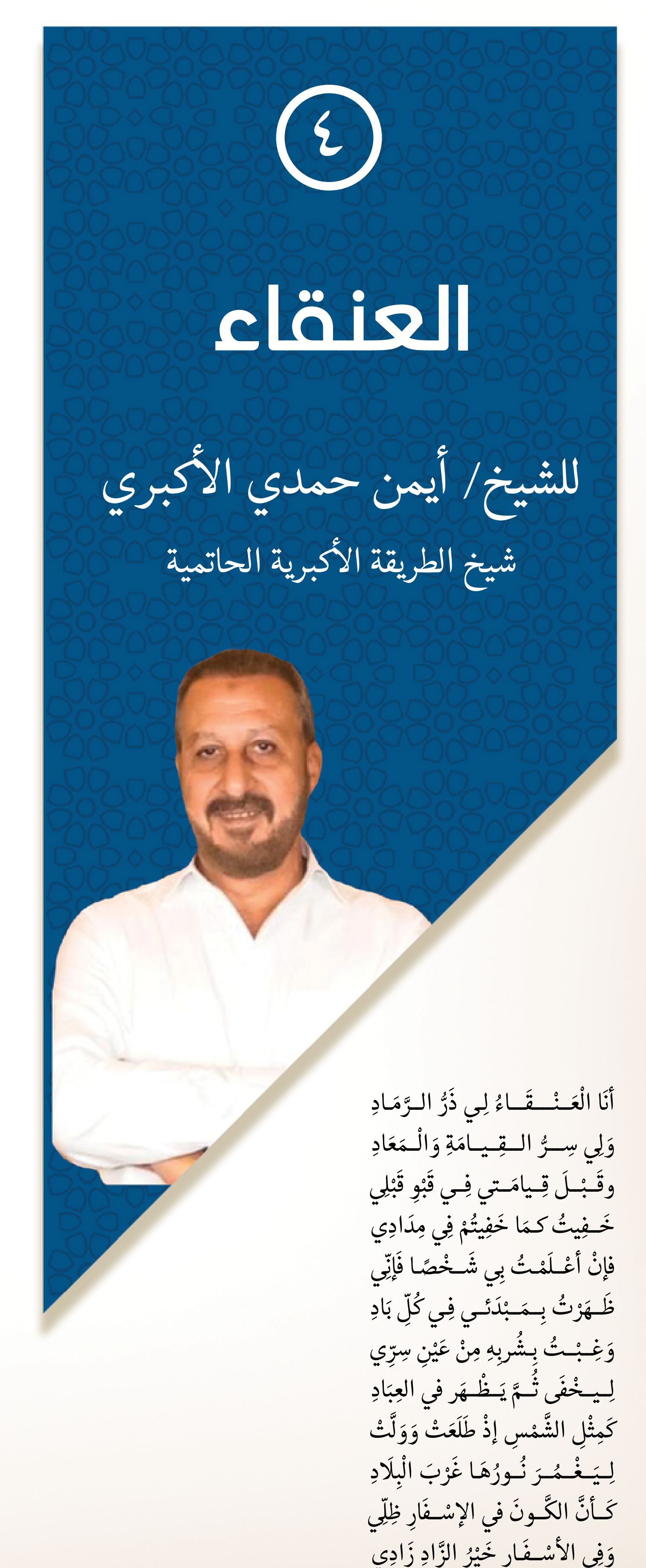


ولابدَّ للمريدِ من شيخٍ مُرشدٍ إلى الحقِ يرشُده ويلقِّنه الذِّكرَ ويُلقِي في رُوعِه النُّور، فإنَّ تلقينَ الشيخِ يلقِّح باطن المريدِ ويُسرِي فيه النُّور، كأنَّما يُلقَّح من سراجٍ، وعلى المريد اختيارُ الشيخِ الصَّالحِ المشهودِ له بالعلمِ والمعارفِ واتِّقاءِ المحارم، فالشَّجرة إذا نبتَت من غير غارسٍ تورِق ولكنَّها لا تثمِر، وكذلك المريد إذا لم يكن له شيخٌ يأخذُ عنه طريقتَه قلَّ أن يفلحَ. فالشَّيخُ في طريق التَّصوفِ ركنٌ هامٌّ في السَّيرِ والسُّلوكِ، فكما أنَّ العلومَ الإسلاميَّةَ بدون العلماءِ والعارفينَ بها لن يكون لها كبير فائدةٍ وتصبح سطورًا جامدةً في الكتب فكذلك معارفُ وعلومُ التصوُّفِ لابدَّ لها من الشَّيخ الَّذي يعرِّف بها ويعلِّمها ويرشد إليها ويتعاهدُ طريقةَ تَطبيقِها. والشيخُ الصوفيُّ هو العالم الربانيُّ السَّائرُ في طريق الله، العارفُ بالشَّريعةِ الإسلاميَّة، المنضبطُ بحدودِها المُلزِم لنفسِه بالنَّوافلِ، المتمسِّكُ بسنَّة النَّبيِّ ﷺ، العالم العابد، الرَّحيمُ بخلقِ الله، الذي يكونُ هاديًا ودليلًا إلى طُرُق تزكيةِ النُّفُوسِ والقلوبِ وسُلُوكِ طريق الله والاقتداءِ برسولِ الله ﷺ، فهو يحبِّبُ الله إلى عِبادِه، فهو ليس بصاحبِ بدعةٍ في دين الله، وإنَّما هو من الذين يَقتفونَ سنَّةَ وأفعالَ رسول الله ﷺ في تربيتِه لصحابتِه الكرام رِضوانُ الله عليهم، وإرشادِه لهم وتفقُّدِ أحوالهم وعباداتِهم، فالشيخ الصُّوفيُّ الكاملُ قائمٌ في الأمَّة مقامَ رسول الله ﷺ من حيث التربيةُ والإرشادُ والدَّلالة على طريق الله. والشَّيخُ المُتصدِّرُ لتربيةِ المريدينَ وإرشادِهم هو المتَّصفُ بالعلمِ والمعرفةِ بالعُلوم الشَّرعيَّة- فلا يجوزُ أن يتصدَّر الجاهل لإرشاد الخلق- وأن يكونَ عالمًا بعلومِ التَّصوف والطريقِ وأهل السُّلوك وأقوالِهم وعباراتِهم ومصطلحاتِهم؛ بحيث يكون جامعًا بين الحقيقةِ والشريعةِ، عالمًا بأحوال وأمور الخلق والمجتمع الذي يعيش فيه، ليس منعزلًا عن النَّاس، وهنا تأتي عبارة الإمام الجنيد رضي الله عنه: «مَن لم يحفظِ القرآنَ ولم يكتبِ الحديثَ لا يُقتدَى به في هذا الأمر؛ لأنَّ عِلْمَنا هذا مُقيَّدٌ بالكتابِ والسُّنَّةِ»[١٠].



---

١٠ انظر: الرسالة القشيرية (١/٧٩).



أنَا الْعَـنْـقَـاءُ لِي ذَرُّ الـرَّمَادِ
وَلِي سِـرُّ الـقِـيَـامَةِ وَالْـمَعَادِ
وقَـبْـلَ قِـيامَـتي فِـي قَبْوِ قَبْلِي
خَـفِيتُ كـمَا خَفِيتُمْ فِي مِدَادِي
فإنْ أعْـلَـمْـتُ بِي شَـخْصًا فَإنّي
ظَـهَرْتُ بِـمَـبْدَئـي فِي كُلّ بَادِ
وَغِـبْـتُ بِشُربِهِ مِنْ عَيْنِ سِرّي
لِـيَـخْفَى ثُـمَّ يَـظْـهَر في العِبَادِ
كَمِثْلِ الشَّمْسِ إذْ طَلَعَتْ وَوَلَّتْ
لِـيَـغْـمُـرَ نُـورُهَا غَرْبَ الْبِلَادِ
كَـأنَّ الكَّـونَ في الإسْـفَارِ ظِلّي
وَفِي الأسْـفَارِ خَيْرُ الزَّادِ زَادِي

الحمد لله، وبعد فالكلام في هذا النظمِ بلسان حال المرتبة الرابعة الإحاطية من مراتب الوجود الكوني، وهي مرتبة الهباء في الكتاب، وتُسمَّى العماء في السُّنَةِ.

والعماء عبارة عن السَّحاب، كما نبّه عليه سيّدُ الخَلقِ ﷺ، بما وَردَ في إجابته عن سؤال «أين كان الله قبل أن يخلق الخلق؟ فقال ﷺ: كان في عماء، ما فوقَه هواء، وما تحته هواء». أي ليس تحته هواء فيحمله، ولا فوقه فيسيره، والسؤال بأين لا يقصدون به الظرفية التي تعطي الحلول في المحل، بل هو سؤال عن وجود المرتبة، كما قال تعالى ﴿وَهُوَ الَّذى فِى السَّماءِ إِلٰهٌ وَفِى الأَرضِ إِلٰهٌ ۚ وَهُوَ الحَكيمُ العَليمُ ﴾. "الزخرف ٨٤ "، فبانَ أنَّه تعالى فيهما برتبةِ ألوهيته.

والهباءُ المُشارُ إليهِ أصْلُ صوَر العالَم، وجَمِيعُ أكوَان العالَم ومَوْجُودَاتِهِ ذَرَّاتُ ذَلِكَ الهَبَاءِ، وكذلك يُصَيّرُ اللهُ تعالى العالَمَ هباءً منبثا، وقد اصطلحوا على تسمية تلك المرتبةِ بالعنقاءِ، والعنقاءُ طائرٌ أسطوري يُوصَفُ بطيرانِهِ إلى شَمْسِ الحقيقةِ، حتى إذا وَصلَ اليها احْتَرَقَ كمَا يَحْتَرِقُ الفَرَاشُ بالَّنارِ، فتدلّى رَمَادًا، فَإذَا اجْتَمَعَ هَذَا الرَّمَادُ عَنْ آخرِهِ بَعَثَهُ اللهُ طَائِرًا يسْعَى إلى شَمْسِ الحَقِيقَةِ حَتَّى يَحْترِقَ فِيهَا فَنَاءً وَيَتَدَلَّى رَمَادًا. وهو عِنْدَ اليُونَانِ طَائِرُ الفينيق الأسطوري، وفى ثقافات الشرق طائر القوقنس.

فالعنقاء اصطلاحاً عند أهل طريقتنا عبارة عن الهباء؛ ويسمونه الحكماءُ الهيولَى الأولى؛ وهو مادة كل صورة، وله المرتبة الرابعة الإحاطية من المراتب المعقولة، وأولها العقل الأول وهو القلم، ثم النفس الكلية وهي لوح العالم، ثم الطبيعة، ثم الهباء، ثم الجسم الكلّي وهو جسم العالم، ثم شكله، ثم عرش العالم لا العرش العظيم ولا عرش الله الذي هو قلب العبد المؤمن، ثم الكرسي، وفى باطن الكرسي خلق الله السموات والأرض، وأدار الأفلاك وحرَّك فيها الكواكبَ فأوجدَ الزمان نِسَبًا حاصلةً عند حركات الكواكبِ في أفلاكها.

ثم إن كل ما خلقه الله تعالى قبل دوران الأفلاك فإنما يكون تقدُّمه أو تأخره عن بعضه البعض بالمرتبةِ لا بالزمانِ لعدم حدوث الزمان، فلا نعقل له تقدم أو تأخر إلا من حيث المراتب مما يشهد به النقل، كقول رسول الله ﷺ، لما سأله جابر رضي الله عنه وأرضاه، ما أول شيءٍ خلقه الله، فقال ﷺ: «نور نبيك يا جابر».

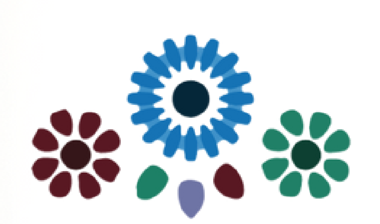
وقد يطلقون اسم الهباء ويقصدونَ به نفَس الرحمن، أي الفيض الرحماني الذي نفّس به سبحانه على العالَم فأخرجه مِن ظُلمة العدم إلى نور الوجود، وأوّلُ صورة انفتحت في ذلك النفَس الرحماني صورة الحقيقة المحمدية، وفى باطنها جميع صور العالم، كما أنَّ جميع حقائقِهِ في باطن الحقيقة المحمدية التي وقف جميع الأنبياء والمرسلين ببابها؛ وسجدتْ عقولُ الخلائق على أعتابها.

وكان الحق تعالى ولا شيء معه، كنزًا مخفيًّا، فلمَّا أحبَّ أن يُعرفَ أفاض نورَ وجودِهِ على مراتب العدَمِ فأعدمه، وصار ذلك النور له كالمرايا بحسب تلك المراتب جمعًا وتفصيلا، فظهرت صورته في المرايا، وسمَّى ما ظهرَ خَلْقًا، فكان أقرب ما ظهرَ مِن الصور أول الخلق رتبةً وأجمعه حقيقةً لِمَا ظهرَ فيه من أمهات الصفات التي هي الحياة والعلم والإرادة والقدرة والسمع والبصر والكلام، وقد تجلت فيه جميع صفات الحق تعالى في صورة أحدية جمع الصفات، ولذا قال الشيخ الأكبر محيي الدين ابن العربي أن الأحدية عبارة عن صفة التعين الأول، وكانت الحقيقةُ الجامعةُ أحمدية لكونها أعرف الحقائق باللهِ وأحمدهم له، وكانت محمدية لما فيها من جمعية صفاته المحمودة في رتبتها الخلقية، وقد يطلقون على هذه الحقيقة القلم الأعلى والعقل الأول وحقيقة الحقائق.

ثم إن الحق تعالى تجلى بسائر أسمائه وصفاته إلى مرآة الوجود، فكل ما انطبع فيها سماه خلقًا وحقيقةً كونية؛ لكونهَا على صورةِ حقيقةٍ إلهيَّة، فتجلَّى باسمِه السميع، فخلق حقيقةَ السمع، وبالبصير خلق حقيقة البصر، وبالرّزاق الرزق، وهكذا بكل الأسماء، ثم كانت له شئون مع تلك الحقائق الكونية ففاضت أنوارا خلقَ منها عالَمَ الأرواحِ على مراتبِهِ، ثم خلقَ السموات والأرض من الطبيعةِ وعناصرِها، وأسكن مَن شاء مِن أرواح ملائكته في السمواتِ والأرض، وخلق النبات والحيوان والإنسان وهو آخر مراتب الخلق.

وكما خلق الحقيقة المحمدية على صورةِ جمعية صفاتهِ، واللوح على صورة علمه في خلقهِ والطبيعة على صورة اسمه الباطن، والهباء على صُورة اسمِه الأخِرِ وهو نَفس الرحمن، خلق الإنسان على صورة حقيقة الجمعية، فطابق الأول في الخلق رتبةً الأخِرُ فيهم رتبةً وكملت الدائرة، والله أعلم.

وصلِّ اللهم على سيدنا محمدٍ و آله وصحبه وسلم.

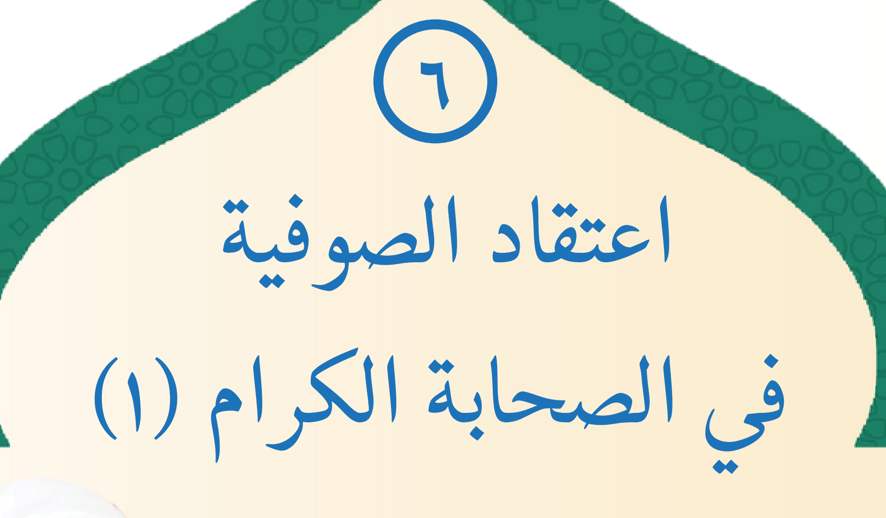



الله
مقصود
الكل

٥ خصائص الشاذلية (٢)

محمد عوض المنقوش

مما خصهم الله به رضي الله عنهم: (تسهيل السير على السائرين) فلا تجد في طريقهم تعويق، بل يُسر في يُسر؛ لأن رافع راية الطريقة قيل فيه بأنه (سهل الطريقة على الخليقة)، فقد ورث هذا التيسير من سيد الميسرين صلوات الله وسلامه عليه وعلى اله، فما خُيّرَ بين أمرين إلّا اختار أيسرهما، كما فى الصحيح، ونجد هذا اليسر في طريق قطب الأقطاب ظاهر في أسلوب التخلي بالتحلي، وهي نظرية (الدفع) ﴿وَلَولا دَفعُ اللَّهِ النّاسَ بَعضَهُم بِبَعضٍ لَفَسَدَتِ الأَرضُ﴾، وبمفهوم قانون الإزاحة، أي لكي نزيل ونزيح ونبدل خُلُقًا سيئًا فإننا نفعل هذا عن طريق الدخول في خُلُقٍ حسنٍ، وكم يأخذ هذا من جهد وطاقة وينجح من بين هؤلاء عددٌ قليلٌ لا يُذْكر، ومن يقرأ في سير السائرين يجد حجم الصعاب التي يكابدونها، من صبر وتصبّر وكبدٍ وعناء في إقلاعٍ عن عادةٍ أو تركٍ لمحرم قد أدمنه، ويبذل في هذا جُهدًا جهيدًا ووقتًا طويلا، فجاء كهف أمن الطلاب ووارث سر الأعتاب ففتح الباب وأدخل الأحباب، بسر ذكرهم للمحبوب، فإن الذكر خاصة بـ لا اله إلا الله يبدل ما استعصى من السلوكيات بل وما كمن فى النفوس من هواجس ورجائس، فيحصل التبديل والتغيير بسر النفي للسوالب في (لا اله) وسر الاثبات لكل موجب في (إلا الله)، هذا مع معية المعارف من معين العارف أبي الحسن الشاذلي إلى صدور الشاذلية، فيسقيهم شرابًا طهورًا من معارف الوهاب ومعاني الأسماء والصفات، فتزيد علاقتهم برب الأرباب وتجذبهم إلى حظيرة القدس، لتأخذهم معارفهم من قبيح صفاتهم إلى جميل صفاته سبحانه، ولتحملهم أذكارهم من تعثرات طريقهم النفسية والسلوكية إلى مدائن ﴿وَٱللَّهُ يَدۡعُوٓاْ إِلَىٰ دَارِ ٱلسَّلَٰمِ﴾ في لطف وعافية، ومن غير كد وعناء، فـ «شيخك من أراحك لا من أتعبك» كما نسبه التاج في اللطائف لأبي الحسن عليه الرضوان، وقد تلقف هذا من شيخه مولاي عبد السلام بن مشيش الذي سئل عن قوله ﷺ: «يسروا ولا تعسروا» فقال: دُلوهم على الله، ولا تدلوهم على غيره، فإن من دلك على الدنيا فقد غشك، ومن دلك على العمل فقد أتعبك، ومن دلك على الله فقد نصحك، كما في عُدة المريد لزروق، وقصدُ الشيخ والتلميذ هنا؛ ليس ترك العمل، بل ترك رؤية فعلك فى العمل برؤية الله فاعلا فيك فيرتفع عنك العنا ويحل محله الهنا فترك المجاهدة أي ترك رؤيتك لنفسك فبها ترى العناء فإذا رأيت الله وشاهدته فاعلًا: حمل عنك مشقة العمل وصرتَ مكلفًا بلا تكلّف. وطريق هذا: الذكر والمعارف ففيهما فجاهد؛ فالذكر خفيف على اللسان، والمعارف تخترق الجنان؛ فتتبدل الأحوال بالجمال بقدرة الجليل المنان، وهذا كله من ميراث النبوة ومشكاتها التي ورثها الآخذ بأيدينا إمامنا الشاذلي حيث تربّى على قول جده العدنان ﷺ: «إن الدين يسر ولن يشاد الدين أحد إلا غلبه» كما فى البخاري، وقوله «إن المنبت لا أرضًا قطع ولا ظهرا أبقى» كما عند البزار، وقوله: «بعثت بالحنيفية السمحة» عند أحمد، وقوله: «يسروا ولا تعسروا وبشروا ولا تنفروا»، «فإن الرفق ما كان في شيئ إلّا زانه» كلاهما في صحيح مسلم، وهذا باب فى الشريعة واسع، مَدِيدَةٌ نصوصه عديدة فصوصه، علا به أصل الشاذلية الأصيل من سيرة نبينا الجميل عليه صلاة ربنا الجليل، الذي كان ينقي ويرقي بأسهل طريق، فما قال لأحد لا تسلك طريق الله إلا إذا فعلت وتركت، بل كان يدلهم بأيسر ما يستطيعون فينقلهم بما استطاعوا إلى ما لم يستطيعوا، «فكل ميسر لما خلق له» كما فى الصحيحين، فرضي الله عن من سهل لنا الطريقة وسقانا الحقيقة وعلم ألسنتنا ذكر الحق في كل بسط وضيقة، حتى علّق قلوبنا بالحق، فسِرْنا بسره بغير مشقة معيقة، وسُرَّ سِرُّنا بهذه الطريقة العميقة الدقيقة، ولأن هذه الطريقة العلية الشاذلية ليست كتبا ولا سطورا تورث، بل نور فى الصدور يُكرّس، فقد كان قطب زماننا ونورنا وأماننا، شيخ طريقتنا العلية الصديقية الشاذلية : حاملٌ للواء التنقية والترقية بالحال قبل المقال وبتقديم الأفعال على الأقوال، لأنه أخذها من الصدور لا من السطور، وبقيت سطور أخرى لا أخيرة فى المقال التالي.





د. مختار محسن الأزهري
أمين فتوى بدار الإفتاء المصرية
facebook.com/mokhtar.mohsn

دفع شبهة "التشيع"

يمثل التصوف صورة مشرقة لعقائد الإسلام وأخلاقه وأحكامه وآدابه، ولا يشوش على هذه الصورة سوى ما يقوم به النابتة والمتمسلفة من نشر للأكاذيب عن التصوف بكل ما أوتوه من قوة؛ نظرا لعلمهم أن وجود التصوف وبقاءه يهدد وجودهم، وأن حقائق التصوف تصفع أكاذيبهم وتفضح شبهاتهم، وأن الناس لو تركوا لعقولهم وقلوبهم لاختاروا طريق التصوف، ولم يعيروا هؤلاء الدجالين انتباههم ولا قلوبهم.

ومما نشره هؤلاء المتمسلفة في كتبهم من أكاذيب حول التصوف ما ادعوه من أن التصوف هو بوابة "التشيع" وأن الصوفية تحمل عقائد الشيعة، وإذا فتشنا عن دليل واحد يستند له هؤلاء الدجالون عن صلة التصوف بالتشيع لا نجد سوى كتابات بعض المستشرقين من غير المسلمين الذين قرأوا علوم الإسلام دون تذوق لحقائقه الكبرى، ولا معرفة باللغة العربية تؤهلهم لفهم نصوصه فضلا عن فهم الأنساق المعرفية التي نشأت في ظل الإسلام ومعارفه ومنها التصوف، وقد سار خلف هؤلاء المستشرقين أولئك الذين ينسبون أنفسهم للسلف تارة! وللسنة تارة أخرى! وهم أبعد الناس عن السلف والسنة المشرفة(١). واستدلال هؤلاء الأعاجم على هذه الفرية المضحكة مبناه في الحقيقة اتصال معظم أسانيد أئمة الصوفية بأئمة آل البيت عليهم السلام، وأخذ كثير منهم عن أئمة آل البيت كما حصل مع سيدنا معروف الكرخي الذي تلقى عن سيدنا على الرضا وغيره وصولًا إلى سيدنا علي بن أبي طالب الذي صح في حقه حديث «أنا مدينة العلم، وعلي بابها، فمن أراد العلم فليأت الباب»(٢)

لكن البحث العلمي والمنهج المنضبط يأبى هذه المغالطات التي لا تنطلي إلا على ساذج لا يعرف من العلم إلا معلومات سطحية، فليس كل من أخذ عن سيدنا علي وهو أمير المؤمنين ورابع الخلفاء الراشدين، ولا عن أي من أولاده وذريته هم من الشيعة؛ فهذا لم يقله أحد من العلماء، فأئمة آل البيت هم أئمة لأهل السنة والجماعة ايضًا، فإذا تلقى الصوفية إسنادَ الطريق من جهة آل البيت الكرام لأنهم أحد أكابر من نقلوا لنا علوم الإسلام، وليس لأن الصوفية لهم صلة بالتشيع(٣).

الأمـر الآخر الذي يدحض هذه الأفكار المتهافتة هو أن المميز الحقيقي للتشيع المرفوض عند أهل السنة ليس مجرد محبة

آل البيت عليهم السلام والأخذ عنهم، لما قررناه من أنه من جملة ما حافظ عليه أهل السنة والجماعة، ولكن المميز الحقيقي للتشيع مما ينكره أهل السنة والجماعة ويرفضونه هو الطعن في الصحابة الكرام خاصة الصاحبين الكريمين سيدنا أبي بكر الصديق وسيدنا عمر الفاروق رضي الله عنهما.

وبناء على ذلك فتعالوا بنا نستعرض ما سطرته يد أئمة الصوفية في كتبهم ورسائلهم عن اعتقادهم في الصحابة الكرام وعن مكانتهم عندهم، لنعلم كذب هذه الفرية على ساداتنا الصوفية.

وأول ما نطالعه من كتب السادة الصوفية الرسالة القشيرية للإمام القشيري المتوفى سنة ٤٦٥ هـ وهو يتكلم عن عقائد الصوفية ممن سبقوه وأخذ عنهم فقال: «اعلموا رحمكم الله تعالى أن المسلمين بعد رسول الله ﷺ لم يتسمَ أفاضلُهم في عصرهم بتسمية علم سوى صحبة رسول الله ﷺ؛ إذ لا فضيلة فوقها، فقيل لهم: الصحابة.» (٤)

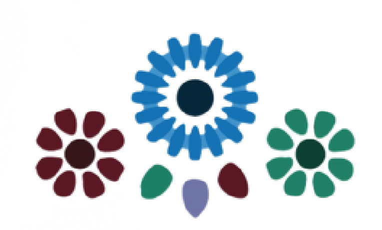
وهذا نقل آخر ورد في كتاب "المكتوبات" وهو للإمام السرهندي النقشبندي مجدد الألف الثانية المتوفى ١٠٣٤ هـ وفيه ما يلي: «ومن ذلك كان تربية النبي ﷺ للصحابة (رضي الله عنهم) فكانوا يستغنون برؤية طلعته السعيدة وينتفعون بها عن كل رياضة ومجاهدة أكثر مما ينتفعون بالأذكار في مدة مديدة ولهذا كانت درجة الصحابة لا تضاهى»(٥).

وجاء في مقدمة كتاب "طبقات الصوفية الكبرى" للإمام الشعراني المتوفى ٩٧٣هـ ما يلي: «فهذا كتاب لخصت فيه طبقات جماعة من الأولياء الذي يقتدي بهم في طريق الله عز وجل من الصحابة والتابعين إلى آخر القرن التاسع وبعض العاشر، ومقصودي بتأليفه فقه طريق القوم في التصوف من آداب المقامات والأحوال لا غير، ولم أذكر من كلامهم إلا عيونه وجواهره دون ما شاركهم غيرهم فيه مما هو مسطور في كتب أئمة الشريعة»(٦).

ومن "البحر المديد" للعارف ابن عجيبة المتوفى ١٢٢٤ هـ في تفسير قول الله تعالى: ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾[الحشر: ٩]

فقال: «بعد أن وَصَفَهم بقطع الطمع والحرص، والزهد فيما لم يملكوا بقوله: ﴿وَلا يَجِدونَ فى صُدورِهِم حاجَةً﴾ وَصَفَهم بالإيثار فيما ملكوا، وبذلك يتم تحقيق خروج الدنيا من قلوبهم، بحيث لا يتعلق القلب بما فات منها، ولا يُمسك ما وجد منها، بل يُؤثر به مع الحاجة إليه، فالآية تشير إلى سلامة الصدور، وسخاوة الأنفس، وهذا كان وصف الصحابة - رضي الله عنهم - وبهذين الخصلتين فاقوا جميعَ الناس، وهي أخلاق الصوفية» (٧)

إذن هذه النصوص التي تعمدت أن تكون من تواريخ متفاوتة من بين القرن الخامس الهجري والثالث عشر الهجري كلها تشير إلى تعظيم الصوفية للصحابة وأنهم يعتقدون فيهم أنهم الجيل الأجل الذي لا يأتي بعده مثله.
وأن ما يقال ويثار على ألسنة هؤلاء الدجالين من تخويف الناس من الصوفية على أساس أنهم ينشرون التشيع فهو كذب وبهتان، فكتب الصوفية وأسانيدهم وأحوالهم وأقوالهم كلها نابعة من علوم ومعارف أهل السنة والجماعة، وليس في علومهم وسلوكهم ما ينسب لأي فرقة من الفرق الأخرى.



١- من هذه الكتابات ينظر:صلة التصوف بالتشيع كامل مصطفى الشيبي ط.دار المعارف، والتصوف : المنشأ والمصادرإحسان إلهي ظهير، ط. إدارة ترجمان السنة - باكستان

٢- الحديث أخرجه الحاكم في مستدركه وصححه، والطبراني في المعجم الكبير عن ابن عباس،وقد أفرد له الحافظ السيد أحمد الغماري جزءا في بيان صحته سماه: ""فتح الملك العلى بصحة حديث باب مدينة العلم على" فراجعه.

٣- موضوع أسانيد التصوف وصلتها بالشيعة هو باب آخر ويمكن أن نفرد له بحثا آخر بإذن الله تعالى.

٤- الرسالة القشيرية للإمام القشيري ٣٤/١ ط.دار المعارف

٥- المكتوبات للإمام السرهندي ١/٥٤٦ ط.النيل القاهرة

٦- الطبقات الكبرى للشعراني ١/٣ ط.المليجي

٧- البحر المديد لابن عجيبة ٧/١٢ ط.د.حسن عباس زكي



٧

أضواء على نشأة الطرق الصوفية بمصر

د. عمرو محمد الشريف

التصوف من أشرف العلوم وأعظمها، وهو منهج كامل لتزكية النفس، وتطهيرها، حتى تكون نقية خالصة من كل الشوائب. ولذا قالوا الصوفي هو من صفا قلبه لله تعالى. ولعلم التصوف مرجعيتان هما القرآن الكريم والسنة النبوية. ويرى الصوفيون في رسولنا الكريم سيدنا محمد ﷺ أسوتهم الحسنة التي أمر الله بالاقتداء بها. قال تعالى : ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾ سورة الأحزاب الآية ٢١.

أقوال العلماء وتعريفاتهم للتصوف تزيد على الألف تعريف، ولعل أجمعها وأكثرها إحاطة ما قاله الشيخ العارف أحمد بن محمد ابن عجيبة الحسني (ت١٢٢٤هـ) حيث عرفه قائلاً: «التصوف هو علم يعرف به كيفية السلوك إلى حضرة ملك الملوك، وتصفية البواطن من الرذائل، وتحليتها بأنواع الفضائل، وأوله علم، وأوسطه عمل، وآخره موهبة».

لقد ظهر التصوف كاسم يطلق على العباد والزهاد في القرن الثاني الهجري بعد أن انحرف بعض المسلمين عن الدين القويم، وأقبلوا على الدنيا واغتروا بها، وأخذوا يتناسون ضرورة الإقبال على الله بالعبودية. قال الإمام أبو القاسم القشيري (ت٤٦٥هـ) في الرسالة: «أعلموا أن المسلمين بعد رسول الله ﷺ لم يتسم أفاضلهم في عصرهم بتسمية علم سوى صحبة رسول الله ﷺ، إذ لا فضيلة فوقها، فقيل لهم: الصحابة، ولما أدرك أهل العصر الثاني، سمي من صحب الصحابة التابعين، ورأوا ذلك أشرف سمة. ثم قيل لمن بعدهم أتباع التابعين، ثم اختلف الناس وتباينت المراتب، فقيل لخواص خواص الناس ممن لهم شدّة عناية بأمر الدين: الزهاد والعباد، ثم ظهرت البدع وحصل التداعي بين الفرق، فكل فريق ادّعوا أن فيهم زهاداً، فانفرد خواص أهل السنة المراعون أنفسهم مع الله الحافظون قلوبهم عن طوارق الغفلة باسم "التصوف"، واشتهر هذا الاسم لهؤلاء الأكابر قبل المائتين من الهجرة».

وقال المؤرخ العلامة عبد الرحمن بن خلدون (ت٨٠٨هـ) في مقدمته عن علم التصوف: «علم من العلوم الشرعية الحادثة في الملة، وأصله أن طريقة هؤلاء القوم لم تزل عند سلف الأمة وكبارها من الصحابة والتابعين ومن بعدهم طريقة الحق والهداية، وأصلها العكوف على العبادة والانقطاع إلى الله تعالى والإعراض عن زخرف الدنيا وزينتها، والزهد فيما يقبل عليه الجمهور من لذة ومال وجاه، والانفراد عن الخلق في الخلوة للعبادة، وكان ذلك عامًّا في الصحابة والسلف. فلما فشا الإقبال على الدنيا في القرن الثاني وما بعده، وجنح الناس إلى مخالطة الدنيا اختص المقبلون على العبادة باسم الصوفية والمتصوفة».

نشأة التصوف بمصر

يعد ذا النون المصري (ت٢٤٥هـ) أول من بذر التصوف في مصر، وهو أول من تكلم من الصوفية عن المعرفة بكلام دقيق، وكان حكيماً فصيحاً عالماً، وصفه المؤرخون بأوحد وقته علماً وعملاً وحالاً، وهو معدود ممن روى "الموطأ" عن الإمام مالك رضي الله عنه. حلاه الذهبي في سير أعلام النبلاء بـ"شيخ الديار المصرية".

وعُرض على الخليفة العباسي المتوكل، فلما دخل عليه وعظه، فبكى المتوكل ورده مكرماً؛ وكان المتوكل إذا ذكر أهل الورع بين يديه يبكي ويقول: إذا ذكر أهل الورع فحي هلا بذي النون.

وقد حفلت كتب التراجم والطبقات بأقوال الصوفية الذين عاشوا في القرون الثالث والرابع والخامس الهجريين. كان التصوف في مصر تجربة فردية ثم تطور التصوف من تجربته الفردية لصورته الجمعية. فنجد أن خصصت الخوانق للصوفية في العصر الأيوبي، والخوانق مفردها خانقاه أو خانكاه، وهي كلمة معربة عن الفارسية تعني البيت. وأول من اتخذ بيتاً للعبادة هو "زيد بن صوحان بن صبرة"، حيث عمد إلى رجال من أهل البصرة قد تفرغوا للعبادة وليس لهم تجارات ولا غلات، فبنى لهم دوراً وأسكنهم فيها وجعل لهم ما يقوم بمصالحهم من مطعم ومشرب وملبس وغيره، وكان ذلك في عهد أمير المؤمنين سيدنا عثمان بن عفان رضي الله عنه.

في سنة ٥٦٩هـ خصص الناصر صلاح الدين الأيوبي خانقاه سعيد السعداء بمصر للصوفية الوافدين من البلاد النائية، وبحسب المؤرخ المقريزي كانت تلك أول خانقاه عملت بديار مصر، وعرفت باسم "دويرة" الصوفية، ونعت شيخها بشيخ الشيوخ، وكانت تعرف بمدرسة سعيد السعداء والخانقاه الصالحية.

تحولت تلك الخانقاه إلى دار إقامة مخصصة لاستقبال الصوفية الوافدين من مختلف البلاد، وتم تجهيزها بكافة المستلزمات المطلوبة للتفرغ للعبادة، وولى عليهم شيخاً، ووقف عليهم كثيراً من الأوقاف بالقاهرة، وقد جاء في شرط الوقفية أن من مات من الصوفية وترك عشرين ديناراً فما دونها كانت للفقراء، ولا يتعرض لها الديوان السلطاني، ومن أراد منهم السفر يعطى تسفيرة، ورتب للصوفية في كل يوم طعاماً ولحماً وخبزاً.

والنص التأسيسي للخانقاه، يقرأ منه : «القوة لله وحده اللهم ارحم الملك الناصر صلاح الدنيا والدين ورد عنه الذي أنعم على الصوفية العجم بهذه القيصرية التي أوقفها على بقعتهم التي تعرف بدار سعيد السعداء بمحروسة القاهرة وقد أمر بهذا الباب الجديد والفتح السعيد سيد الملوك والعبيد عماد الدنيا والدين سلطان الإسلام والمسلمين عضد الدولة الطاهرة تاج الملة الزاهرة نظام العالم ملك المعالي العزيز عثمان بن يوسف بن أيوب ظهير أمير المؤمنين خلد الله ملكه في تاريخ ربيع الأول سنة ٥٧٤هـ وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين".

ظهور الطرق الصوفية بمصر

نذكر في السطور التالية نبذة عن نشأة أبرز وأقدم الطرق الصوفية بمصر، والطريقة لفظ يطلق على مجموعة أفراد من الصوفية ينتسبون إلى شيخ معين، ويخضعون لنظام دقيق في السلوك الروحي، ويعقدون مجالس العلم والذكر بانتظام.

الطريقة القادرية

تنسب لإمام الحنابلة في عصره، شيخ الإسلام، السيد محي الدين أبو محمد عبد القادر الجيلاني الحسني، صاحب المشهد المشهور ببغداد، المتوفى سنة ٥٦١هـ، عُرف بـ تاج العارفين، وقطب بغداد، والباز الأشهب.

ولد سنة ٤٧٠هـ بمدينة جيلان وإليها ينسب، ثم انتقل لبغداد سنة ٤٨٨هـ واشتغل بالفقه والحديث وعلوم العربية، ودرس فقه الحنابلة، وسلك طريق الصوفية، والتقى عدداً كبيراً من العلماء والمشايخ، ومن الذين تفقه على أيديهم: الشيخ أبو محمد جعفر بن أحمد البغدادي السراج (ت ٥٠٠هـ)، الشيخ أبو الخطاب محفوظ الكلوذاني (ت٥١٠هـ)، والشيخ أبو الوفا علي بن عقيل (ت٥١٣هـ)، والشيخ أبو المخزومي (ت ٥١٣هـ)، والقاضي أبو يعلى (ت٥٢٦هـ).

كما أخذ الحديث عن مجموعة من العلماء منهم: الشيخ ابن الطيوري (ت٥٠٠هـ)، والشيخ أبو البركات هبة الله بن المبارك بن موسى السقطي (ت ٥٠٩هـ)، والشيخ أبو الغنائم محمد بن علي بن ميمون (ت٥١٠هـ)، والشيخ أبو طالب عبد القادر بن محمد (ت ٥١٦هـ)، والشيخ أبو عبد الله يحي بن أبو علي الحسن بن أحمد بن البناء البغدادي الحنبلي (ت ٥٣١)، والشيخ أبو عثمان اسماعيل بن محمد الأصفهاني (ت٥٣٥هـ)، والشيخ أبو بكر أحمد بن المظفر بن سوسن التمار (ت٥٥٣هـ)، وغيرهم.

وصحب الشيخ حماد الدباس (ت٥٢٥هـ)، من كبار الصوفية، وأخذ الطريقة منه، وأتمها على يد الشيخ القاضي أبو سعيد المبارك المخزومي المخرمي، الذي أجازه وفوض إليه مدرسته، فتصدر الجيلاني للتدريس بها، وجلس على كرسي الوعظ سنة ٥٢١هـ. وحدث عن الجيلاني: السمعاني، والحافظ عبد الغني، والشيخ موفق الدين ابن قدامة.

من مؤلفاته: أوراد الجيلي، الحزب الكبير، الغنية لطالبي طريق الحق، فتوح الغيب، الفتح الرباني والفيض الرحماني، إغاثة العارفين وغاية منى الواصلين، سر الأسرار في التصوف، آداب السلوك والتوصل إلى منازل السلوك، تحفة المتقين وسبيل العارفين، جلاء الخاطر في الباطن والظاهر، حزب الرجاء والانتهاء، دعاء البسملة. الرسالة الغوثية، رسالة في الأسماء العظيمة للطريق إلى الله، معراج لطيف المعاني، يواقيت الحكم، وغيرها من المؤلفات.

استقرت الطريقة القادرية بمصر منذ القرن الثامن الهجري، وأتخذ مشايخها من زاوية عدي بن مسافر بالقرافة الصغرى بالقاهرة مقراً لهم، وهي الزاوية التي عرفت فيما بعد بجامع السادة القادرية، وهو جامع عتيق على يمين شارع سكة القادرية، المؤدي إلى قرافة الإمام الشافعي. واستقر به جماعة من ذرية الإمام الجيلاني بحسب ما ذكر الشمس السخاوي في الضوء اللامع، فعملوا على نشر الطريقة القادرية، وكانوا حنابلة المذهب.

منهم محمد بن علي بن حسين بن محمد الأكحل بن شرشيق بن محمد بن عبد العزيز بن عبد القادر الجيلاني الحسني القادري، توفي بالطاعون سنة ٨٤٠هـ، ودفن بجامع القادرية.
وولده موسى بن محمد بن علي بن حسين بن محمد الأكحل بن شرشيق الحسني القادري، مات بالطاعون سنة ٨٤١هـ بعد أبيه بيسير، ودفن بجامع القادرية. وولده زين العابدين محمد بن موسى بن محمد بن علي بن حسين الحسني القرافي الحنبلي القادري، شيخ الطائفة القادرية، كان خيراً متودداً متواضعاً، حج وزار بيت المقدس وسمع الحديث به وبالقاهرة بقراءة الشمس السخاوي، توفي سنة ٨٨٥هـ، وصلي عليه بمصلى المؤمني في محفل شهده أمير المؤمنين لصداقة كانت بينهما، ودفن عند أبيه وجده بجامع القادرية. وأخيه شمس الدين محمد بن موسى بن محمد بن علي بن حسين الحسني القادري، استقر بعد أخيه في مشيخة القادرية بالاشتراك مع أحد أبناء عمومته، وبعناية صهره تغرى بردى الأستادار. سمع وحضر عند الشمس السخاوي، توفي سنة ٨٨٨هـ، وصلي عليه في مشهد حافل. وولده عبد العزيز بن شمس الدين محمد بن موسى بن محمد بن علي الشريف القادري، سمع على الشمس السخاوي، ومات بالطاعون في سنة ٨٩٧هـ، وهو أخو زوج تغري بردى الأستادار.

ومنهم حسن بن محمد بن عبد القادر بن علي بن محمد الأكحل بن شرشيق بن محمد بن عبد العزيز بن عبد القادر الجيلاني الحسني القاهري، كان أسن القادرية المقيمين بجامع القادرية بالقاهرة كما وصف السخاوي، كان صالحا نيراً سليم الفطرة منجمعا عن الناس، قليل الخبرة بمخالطتهم، توفي سنة ٨٦٧هـ، ودفن بجامع القادرية، تزوج الشيخ إبراهيم القادري ابنته. وأخيه علي بن محمد بن عبد القادر بن علي بن محمد الأكحل بن شرشيق بن محمد بن عبد العزيز بن عبد القادر الجيلاني الحسني القاهري الحنبلي، شيخ القادرية لبس الخرقة القادرية من آبائه وألبسها جماعة منهم أبو إسحق إبراهيم القادري وقال أنه كان عين القادرية بالديار المصرية، حسن الخلق ذا هيبة ووقار وسكينة وحلم. توفي سنة ٨٥٣ هـ ودفن بجامع القادرية. وولده عبد القادر بن علي بن محمد بن عبد القادر بن علي بن محمد الأكحل بن شرشيق بن محمد بن عبد العزيز بن عبد القادر الجيلاني القاهري الحنبلي القادري. ولد سنة ٨٥٠هـ، ومات أبوه وهو في الثالثة من عمره، فكفلته أمه، أخذ عن الزين قاسم الحنفي وهو زوج أمه، ثم لازم الشمس السخاوي قليلًا، وعمل كراسة فيها تخريج فتوح الغيث لجده الإمام عبد القادر، وحج مرتين، توفي بعد عودته من الحجة الثانية مريضاً، وذلك في حياة أمه، وكان بارا بهَا، كانت وفاته سنة ٨٧٩هـ، فصلى عليه في مشهد حافل، ودفن بجامع القادرية.

الطريقة الرفاعية

تنسب لشيخ العارفين الإمام الزاهد القدوة السيد أبو العباس أحمد بن علي الرفاعي الحسيني (ت٥٧٨هـ)، ويعرف بـ"شيخ الطائفة البطائحية"، وذلك لسكناه أم عبيدة من قرى البطائح بالعراق، بين البصرة وواسط. كان شيخاً صالحاً فقهياً شافعي المذهب، أفردت مناقبه وكراماته بالتأليف، وأثنى عليه الكثير من العلماء. قال عنه الحافظ الذهبي:" وكان لا يقوم للرؤساء، ويقول: النظر إلى وجوههم يقسي القلب. وكان كثير الاستغفار، عالي المقدار، رقيق القلب، غزير الإخلاص".
وأثنى على الإمام الرفاعي أئمة المسلمين وعلماؤهم، نذكر منهم: عمدة المؤرخين ابن الأثير الجزري (ت٦٣٠هـ) في "الكامل في التاريخ"، وسبط ابن الجوزي (ت٦٥٤هـ) في "مرآة الزمان في تواريخ الأعيان"، وابن خلكان (ت٦٨١هـ) في "وفيات الأعيان"، والشطنوفي (٧١٣هـ) في "بهجة الأسرار"، وابن الفوطي الشيباني (٧٢٣هـ) في "مجمع الآداب في معجم الألقاب"،

وابن أبي الفداء (ت٧٣٢هـ) في "المختصر في تاريخ البشر، والحافظ الذهبي (ت٧٤٨هـ) في "سير أعلام النبلاء" و "تاريخ الإسلام" وغيرها من مؤلفاته، وابن فضل الله العمري (ت٧٤٩هـ) في "مسالك الأبصار في ممالك الأمصار"، والصفدي (ت ٧٦٤هـ) في "الوافي بالوفيات"، وابن أسعد اليافعي (ت٧٦٨هـ) في "روض الرياحين" وغيرها من مؤلفاته، وتاج الدين السبكي (ت ٧٧١هـ) في "طبقات الشافعية الكبرى"، والإسنوي (ت٧٧٢هـ) في "طبقات الشافعية"، وابن كثير (ت ٧٧٤هـ) في "طبقات الشافعية"، وابن الملقن (ت٨٠٤هـ) في "طبقات الأولياء"، وابن تغري بردي (ت٨٧٤هـ) في "النجوم الزاهرة"، وابن مغيزيل الشاذلي (ت٨٩٤هـ) في "الكواكب الزاهرة" وغيرهم كثير.

دخلت الطريقة الرفاعية مصر عن طريق تلميذه الشيخ أبو الفتح الواسطي، الذي أستقر بالإسكندرية بإشارة من شيخه الإمام الرفاعي، وتوفي بها، وضريحه معروف يزار بمنطقة اللبان. والواسطي حلاه الإمام الشعراني في الطبقات بـ"شيخ مشايخ بلاد الغربية بأرض مصر". وذكر أنه أخذ عنه خلائق لا يحصون منهم: الشيخ عبد السلام القليبي، الشيخ عبد الله البلتاجي، والشيخ بهرام الدميري، والشيخ جامع الفضلين الدنوشري، والشيخ علي المليجي، والشيخ جمال الدين البخاري، والشيخ عبد العزيز الديريني وأضرابهم.

والقليبي هو الشيخ الإمام الزاهد تقي الدين أبو محمد عبد السلام بن سلطان الماجري، المتوفى سنة ٦٥٨هـ، صاحب المسجد والضريح المعروف بقرية قليب إبيار إحدى قرى كفر الزيات بمحافظة الغربية، قدم من المغرب إلى القاهرة، واستقر بها مدة، ثم انتقل إلى قليب إبيار، وكان فقيهاً عالماً عارفاً بالله.

أما الديريني فهو الشيخ الزاهد القدوة عبد العزيز بن أحمد بن سعيد الدميري الديريني، صاحب المسجد المعروف بقرية درين، إحدى قرى مركز نبروة بمحافظة الدقهلية، له العديد من المصنفات في التفسير، والفقه واللغة، والتصوف، وله نظم كثير.

وظلت الغربية معقل من معاقل الطريقة الرفاعية بمصر، فنجد بقرية النحارية بالغربية آل البديوي، وبسمنود آل الفنائي، تنتهي خرقتهم الرفاعية إلى الشيخ أبي الفتح الواسطي خليفة الإمام الرفاعي. ومن آل البديوي:

برهان الدين إبراهيم بن شمس الدين محمد بن علي بن أحمد العدوي النحريري الشافعي الرفاعي ويعرف بابن البديوي. ولد بعد سنة ٧٨٠هـ بالنحارية بالغربية، وقرأ بها القرآن، وحفظ العمدة والتبريزي وألفية ابن مالك، وعرضهم على السراجين البلقيني وابن الملقن، وسمع كتاب الشفا على قاضي النحارية البرهان إبراهيم بن أحمد بن البزاز الأنصاري الشافعي، حج سنة ٨٢٥هـ، وتردد إلى القاهرة والإسكندرية مرارًا، كما ارتحل إلى دمياط لزيارة الصالحين، وعني بنظم الشعر، ومات بالنحارية سنة ٨٦١هـ.

أما بيت النفائي السمنودي، فمنهم: عيسى بن محمد بن عيسى بن عمر بن ياسين بن صالح النفائي السمنودي الرفاعي الشافعي، ولد بسمنود وقرأ بها القرآن، ورحل إلى القاهرة واشتغل بها على العز بن جماعة وغيره، لقيه البقاعي سنة ٨٣٨هـ بسمنود ووصفه بالوقار والعقل والفضل وسعة الدائرة وأنه هو وأهل بيته مشايخ معروفون في بلاد الغربية وأعمال القاهرة، معتقدون مشار إليهم مذكورين بالكرامات والأحوال.

الطريقة السهروردية

تنسب للشيخ أبو النجيب ضياء الدين عبد القاهر السهروردي، ثم لابن أخيه شهاب الدين أبو حفص عُمر السهروردي البغدادي الشافعي. وينتهي نسبهم إلى سيدنا أبي بكر الصديق رضي الله عنه.

أبو نجيب السهروردي، ولد بسهرورد سنة ٤٩٠هـ، وتوفي ببغداد سنة ٥٦٣هـ، كان من أكابر مشايخ العراق، وصدور العارفين، وأعيان المحققين، وأعلام العلماء، درس بالمدرس النظامية ببغداد، و تصدر للفتوى بها، ووضع الكتب المفيدة في علمي الشريعة والحقيقة، وقصده طلبة العلم ببغداد.

قال عنه ابن عساكر: الفقيه الصوفي الواعظ، قدم بغداد وهو شاب وسمع بها الحديث، وتفقه، واشتغل بالزهد والمجاهدة مدة حتى أنه كان يستقي الماء ببغداد، ويأكل من كسبه، ثم اشتغل بالتذكير وحصل له فيه قبول، وبني له ببغداد رباطات للصوفية من أصحابه، وولى المدرسة النظامية ببغداد، وأملى ببغداد الحديث، وقدم دمشق سنة ٥٥٨هـ عازماً على زيارة بيت المقدس فلم يتفق له ذلك لانفساخ الهدنة بين المسلمين والعدو، فأكرمه الملك العادل نور الدين واحترمه، وأقام بدمشق مدة يسيرة، وعقد بها المجلس، وحدث وعاد إلى بغداد.

أما ابن أخيه فهو الإمام العالم، شيخُ الإسلام، شهاب الدين أبو حفص عُمر السهروردي البغدادي الشافعي، ولد سنة ٥٣٩هـ بسُهرورد، وتوفي ببغداد سنة ٦٣٢هـ. نشأ في حجر عمه أبي النجيب، وعنه أخذ التصوف والوعظ، قدم من سهرورد إلى بغداد، وهو شاب وصحب الشيخ محمد عبد القادر الجيلاني، ورأى جملة من الشيوخ، وحدث ببغداد ومكة ودمشق.

قال عنه ابن النجار: وكان شهاب الدين شيخ وقته في علم الحقيقة وانتهت إليه الرئاسة في تربية المريدين، ودعاء الخلق إلى الله. سلك طريق الرياضات والمجاهدات، وقرأ الفقه والعربية، ثم لازم الخلوة والذكر والصوم، فعقد مجلس الوعظ بمدرسة عمه، ويحضر له خلق كثير، وظهر له القبول من الخاص والعام واشتهر اسمه، وقصد من الأقطار، وظهرت بركات أنفاسه على خلق من العصاة فتابوا.

وقال ابن نقطة: كان شيخ العراق في وقته، صاحب مجاهدة وإيثار وطريق حميدة ومروءة تامة، وأوراد على كبر سنه. وحلاه الحافظ الذهبي في سير أعلام النبلاء بـ" الشيخ الإمام العالم القدوة الزاهد العارف المحدث شيخ الإسلام أوحد الصوفية". من مؤلفاته: عوارف المعارف، ونغبة البيان في تفسير القرآن، وجذب القلوب إلى مواصلة المحبوب، والسير والطير.

وقد انتشرت الطريقة السهروردية في مصر بصورة كبيرة، نجد أن من أشهر تلاميذ شهاب الدين السهروردي بمصر: الشيخ أبو عبدالله محمد بن سراقة الشاطبي الأنصاري المالكي (ت٦٦٢هـ)، ولد بشاطبة سنة ٥٩٢هـ، ورحل في طلب الحديث، فسمع ببغداد من الشيخ أبي حفص عمر السهروردي، وتولى مشيخة دار الحديث البهائية بحلب، ثم قدم مصر وتولى مشيخة دار الحديث الكاملية بالقاهرة بعد وفاة ابن سهل القصري سنة ٦٤٢هـ، وبقي بها إلى أن توفي بالقاهرة في شعبان سنة ٦٦٢هـ، ودفن بسفح المقطم. قال أبو العباس المقري: هو أحد الأئمة المشهورين بغزارة الفضل وكثرة العلم والجلالة والنبل، وأحد المشايخ الصوفية، له في ذلك إشارات لطيفة مع الدين والعفاف والبشر والوقار والمعرفة الجيدة بمعاني الشعر، وكان صالح الفكرة في حل التراجم، مع ما جبل عليه من كرم الأخلاق، واطراح التكلف، ورقة الطبع، ولين الجانب.

ومن مشايخ مصر الذين لبسوا خرقة الطريقة السهروردية من الشيخ شهاب الدين السهروردي، سلطان العلماء شيخ الإسلام والمسلمين وأوحد الأئمة الأعلام إمام عصره بلا مدافعة، القائم بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في زمانه، المطلع على حقائق الشريعة الشريعة وغوامضها، العارف بمقاصدها، الإمام العز بن عبد السلام (ت٦٦٠هـ)، لبس منه خرقة التصوف وأخذ عنه. ويذكر أنه أخذ الطريقة الشاذلية أيضاً عن أبي العباس المرسي، وسيأتي ذكرها.

ومنهم قطب الدين بن القسطلاني (ت ٦٨٦هـ)، الفقيه المحدث الأديب الصوفي العابد، ولد في سنة ٦١٤هـ، وسمع من والده، ومن الشيخ شهاب الدين السهروردي، ولبس منه خرقة التصوف، وسمع الكثير بمصر ودمشق وببغداد، ولي مشيخة دار الحدِيث الكاملية بالقاهرة.

ومنهم محيي الدين أبو الفضل عبد الرحيم بن عبد المنعم الدميري اللخمي المصري(ت٦٩٥هـ)، الشيخ الإمام المسند، ولد سنة ٦٠٣هـ، ولبس الخرقة من الشيخ شهاب الدين السهروردي، وكان من كبار المسندين، سمع من الحافظ أبي الحسن علي بن المفضل، ومن أبي طالب أحمد بن حديد، وابن أبي الفخر البصري، والزين بن فتح الدين الدمياطي، وإسماعيل بن ظافر العقيلي، وتفرد بالرواية عنهم.

ومنهم أحمد بن إسحاق بن محمد بن علي الأبرقوهي المصري (ت٧٠١هـ)، كان والده قاضي أبرقوه من عمل شيراز، فولد بها سنة ٦١٥هـ، حدث وقدم الديار المصرية فقطن القرافة. عُرف بين الصوفية بالسهروردي لأنه لبس عنه الخرقة. كان محدثاً فاضلاً، خيراً متواضعاً له كرامات، وكان له بالقاهرة اتباع ومريدون.

الطريقة الشاذلية

تنسب للإمام الزاهد حجة الصوفية تقي الدين أبو الحسن علي الشاذلي الإدريسي الحسني، المتوفى سنة ٦٥٦هـ، صاحب المسجد والضريح المعروف بحميثراء من صحراء عيذاب بمصر. ولد الشاذلي بغمارة بالمغرب سنة ٥٩٣هـ، وقيل سنة ٥٧١هـ، ثم رحل إلى فاس فقرأ على كبار علمائها، وأخذ عن الشيخ الصوفي الكبير ابن حرازم، وانتقل للعراق فاجتمع بأبي الفتح الواسطي تلميذ الإمام الرفاعي، ثم رجع للمغرب واجتمع بالسيد عبد السلام بن مشيش الإدريسي الحسني،

ثم انصرف متوجهاً للديار الشرقية فمر بطريقه على تونس وأقام مدة بـ"شاذلة" ولهذا عرف بالشاذلي. ثم رحل إلى مصر وسكن الإسكندرية. أخذ عن الشاذلي أكابر أئمة الإسلام أبرزهم العارف الكبير الزاهد شهاب الدين أبو العباس أحمد بن عمر بن محمد المعروف بأبو العباس المرسي، صاحب المسجد المعروف بالإسكندرية، والمتوفى بها سنة ٦٨٦هـ. ولد المرسي بمدينة مرسية بالأندلس سنة ٦١٦هـ، ثم انتقل للإسكندرية، ولأهلها فيه ثقة واعتقاد، قضى بها ٤٣ سنة، وكان مثلاً أعلى للتقوى والورع والزهد، وصحبه نجم الدين عبد الله بن محمد الأصفهاني المتوفى سنة ٧٢١هـ. كما تلقى عنه ثلة من كبار الصالحين منهم الأئمة: ابن عطاء الله السكندري، والشرف البوصيري، وياقوت العرش.

ابن عطاء الله هو أحمد بن محمد بن عبد الكرِيم بن عَطاء الله الشيخ العارف تاج الدين أبو الفضل الإسكندري، المتوفى بالقاهرة سنة ٧٠٩هـ، والمدفون بسفح جبل المقطم بزاويته. قال الصفدي: كان رجلاً صالحا يتكلم على كرسي فِي الجامع بكلام حسن، وله ذوق ومعرِفة بكلام الصوفية وآثار السلف، وله عبارة عذبة لها وقع في القلوب وكانت له مشاركة في الفضائل.

من مؤلفاته: الحكم العطائية، التنوير في إسقاط التدبير، تاج العروس الحاوي لتهذيب النفوس، لطائف المنن في مناقب الشيخ أبي العباس المرسي وشيخه الشاذلي أبي الحسن، عنوان التوفيق في آداب الطريق، القول المجرد في الاسم المفرد، مفتاح الفلاح ومصباح الأرواح.

أما الشرف البوصيري صاحب البردة فهو شرف الدين محمد بن سعيد بن حماد الصنهاجي، الدلاصي المولد، المغربي الأصل، البوصيري المنشأ. ولد بناحية دلاص سنة ٦٠٨هـ، وبرع في النظم. قال فيه الحافظ فتح الدين بن سيد الناس: هو أحسن شعرًا من الجزار والوراق. مات سنة ٦٩٥هـ.

ومن مشايخ الشاذلية بمصر: الشيخ عبد الله بن أبي بكر بن عرام الأسواني الأصل الإسكندراني الدار والوفاة، وأمه بنت الشيخ الشاذلي، ولد بدمنهور سنة ٦٥٤هـ، واشتغل بالنحو والتصوف وسمع الحديث، وصحب أبا العباس المرسي، وكان يذكر عنه كرامةٌ وصلاح، توفي سنة ٧٢١ بالإسكندرية. وأخيه أحمد بن أبي بكر بن عرام الأسواني الأَصل الإسكندراني الشافعي، ولد سنة ٦٦٤هـ، وأخذ عن الشيخ شمس الدين الأصبهاني، والعلم العراقي، ومحيي الدين حافي رأسه، وبهاء الدين ابن النحاس. وقرأ على الدلاصي وسمع على جماعة منهم محمد بن طرخان، وصحب أبا العباس المرسي، وولي نظر الأحباس بالإسكندرية، وعلق على المنهاج، مات بالقاهرة سنة ٧٢٠هـ، وهو والد الشيخ تقِي الدين محمد بن عرام.

ومنهم الشيخ العارف الشهير شرف الدين أبو سليمان داود بن ماخلا المالكي السكندري، المتوفى سنة ٧٣٥هـ. كان من العلماء الراسخين، وله مؤلفات منها: عيون الحقائق، واللطيفة المرضية بشرح دعاء الشاذلية، وله شرح على حزب البر، وآخر على حزب البحر للإمام الشاذلي.

والسيد محمد وفا المالكي الحسني التونسي أصلاً، ولد سنة ٧٠٢هـ بالإسكندرية، وسلك الطريق الشاذلي على يد الشيخ داود بن ماخلا، ثم انتقل إلى أخميم فأنشأ بها زاوية كبيرة. من مؤلفاته: العروش الإنسانية، وشعائر العرفان في ألواح الكتمان. توفي سنة ٧٦٥هـ ودفن بسفح جبل المقطم، وهو الجد الأعلى للسادات الوفائية الذين حملوا راية الشاذلية.

ومركز الطريقة الشاذلية الأول هو مصر وبخاصة مدن الإسكندرية، وطنطا، ودسوق، ثم انتشرت في باقي البلاد الإسلامية، وأهم مناطق نشاطها المغرب العربي، وسوريا، والأردن، وفلسطين، ولبنان، وحضرموت، والسودان وغيرها من البلاد.

الطريقة البدوية

تنسب للإمام القطب السيد أحمد البدوي، صاحب المسجد المعروف بطنطا، المتوفى سنة ٦٧٥هـ. تعرض السيد أحمد البدوي في عصرنا لكثير من الافتراءات، وقد ترجم له العديد من العلماء والمؤرخين وكتاب السير، وأثنوا عليه، وشهدوا له بالصلاح، ونذكر منهم على سبيل المثال لا الحصر: العلامة سراج الدين ابن الملقن (ت ٨٠٤ هـ) في "طبقات الأولياء" حيث قال: "الشيخ أحمد البدوي، المعروف بالسطوحي، أصله من بني برِي، قبيلة من عرب الشام، تسلك بالشيخ بري، أحد تلامذة الشيخ أبي نعيم أحد مشايخ العراق، وأحد أصحاب سيدي أحمد بن الرفاعي".

وذكره شمس الدين محمد بن ناصر الأنصاري المعروف بابن الزيات (ت٨١٤هـ)، في "الكواكب السيّارة في ترتيب الزيارة" وقال : "سيدي أبي العباس أحمد البدوي".

وذكره المؤرخ ابن تغري بردي (ت٨٧٤هـ) في عدة مواضع من كتابه "النجوم الزاهرة" فقال: "الشيخ المعتقد الصالح أبو الفتيان أحمد بن علي بن إبراهيم بن أبي بكر البدوي المعروف بأبي اللثامين السطوحي، مولده سنة ٥٩٦ هـ وتوفي في سنة ٦٧٥ هـ، ودفن بطندتا، قبره يقصد للزيارة هناك، وكان من الأولياء المشهورين، وكانت له كرامات ومناقب جمة رحمه الله تعالى ونفعنا ببركاته".
كما ذكره الحافظ شمس الدين السخاوي (ت ٩٠٢هـ) في عدة مواضع من كتابه "الضوء اللامع لأهل القرن التاسع" حيث ترجم للعديد من خلفاء المقام الأحمدي، وذكره "بسيدي أحمد البدوي".

وقال عنه الحافظ جلال الدين السيوطي (ت٩١١هـ) في "حسن المحاضرة" :«سيدي أحمد البدوي، هو أبو الفتيان أحمد بن علي بن إبراهيم بن محمد بن أبي بكر... وعرف بالبدوي لملازمته اللثام، ولبس لثامين لا يفارقهما، وعرض على التزويج فأبى، لإقباله على العبادة، وكان حفظ القرآن، وقرأ شيئًا من الفقه على مذهب الشافعي .... ولازم الصيام، وأدمن عليه حتى كان يطوي أربعين يوما لا يتناول طعامًا ولا شرابًا ...».

وعبد الباسط الملطي (ت٩٢٠هـ) في "نيل الأمل في ذيل الدول"، قال :"سيدي أحمد البدوي".
وقال المؤرخ ابن إياس (ت٩٢٨ هـ) في "بدائع الزهور في وقائع الدهور" في أحداث سنة ٩٠١ هـ :"جدد مقام سيدي أحمد البدوي وبناه بناءً حافلًا ووسعه".

وترجمه الإمام عبد الوهاب الشعراني (ت٩٧٣) في "الطبقات الكبرى"، وحلاه بـ «السيد الحسيب النسيب أبو العباس سيدي أحمد البدوي الشريف رضي الله تعالى عنه وشهرته في جميع أقطار الأرض تغني عن تعريفه ...».
وقال عنه شهاب الدين الرملي شيخ الشافعية (ت ١٠٠٤ هـ) في كتابه "نهاية المحتاج إلى شرح المنهاج": «سيدي أحمد البدوي نفعنا الله به».

والقاضي عبد الحليم بن محمد الرومي الحنفي (ت١٠١٣ هـ) في "رياض السادات في إثبات الكرامات" :«سيدي أحمد البدوي قدس الله سره العزيز ونور ضريحه الشريف ونفعنا به».

والعلامة محيي الدين عبد القادر العيدروس (ت١٠٣٨ هـ) في كتابه "النور السافر عن أخبار القرن العاشر" قال: «القطب الشريف سيدي أحمد البدوي نفع الله به». وألف الشيخ نور الدين علي بن برهان الدين إبراهيم الحلبي (ت ١٠٤٤ هـ) كتاباً في سيرة السيد أحمد البدوي، وهو الكتاب المسمى "النصيحة العلوية في بيان حسن الطريقة الأحمدية".

وذكره محمد بن محمد بن أبي السرور البكري (ت١٠٨٧هـ) في كتابه "النزهة الزهية في ذكر ولاة مصر والقاهرة المعزية": «العارف بالله تعالى سيدي أحمد البدوي رضي الله عنه».

وقال عنه ابن العماد الحنبلي (ت١٠٨٩هـ) في "شذرات الذهب في أخبار من ذهب" في أحداث سنة ٦٧٥هـ :«وفيها السيد الجليل الشيخ أحمد بن علي بن إبراهيم بن محمد ابن أبي بكر البدوي الشريف الحسيب النسيب».
والرحالة أوليا جلبي (ت١٠٩٥هـ) في "الرحلة إلى مصر والسودان والحبشة"، قال:«وقمنا بزيارة ضريح المشهور في الآفاق والقطب على الإطلاق حضرة أبو اليتامى السلطان السيد أحمد البدوي».

وشمس الدين ابن الغزي (ت١١٦٧هـ) في "ديوان الإسلام"، قال: «سيدنا أحمد البدوي». وغير هؤلاء كثير ممن لا يسعنا ذكرهم هنا، أجمعوا كلهم على صلاحه وفضله.

بعد وفاة السيد أحمد البدوي شيد خليفته الشيخ عبد العال أركان الطريقة البدوية، والتي تعرف أيضاً بالأحمدية والسطوحية، وحمل رايتها حتى وفاته سنة ٧٣٢هـ في سلطنة الناصر محمد بن قلاوون الثالثة، ليدفن بجوار شيخه البدوي بالمسجد الأحمدي بطنطا، أرخ لوفاته المؤرخ المقريزي (ت٨٤٥هـ) قائلاً: "وتُوفي الشيخ عبد العال خليفة أحمد البدوي بطنطا في ذي الحجة وَله شهرة بالصلاح ويقصد للزيارة والتبرك به".

وقال المؤرخ ابن تغري بردي (ت٨٧٤هـ) في أحداث تلك السنة: "وتوفي الشيخ الصالح عبد العال، خليفة السيد أحمد البدوي وخادمه بقرية طنتتا بالغربية من أعمال القاهرة في ذي الحجة. فكان له شهرة بالصلاح ويقصد للزيارة والتبرك به؛ ودفن بالقرب من الشيخ البدوي، الجميع في موضع واحد، غير أن كل مدفن في محل واحد على حدته. وخلفاء مقام الشيخ أحمد البدوي من ذرية أخيه، ولم يبلغنا من كراماته شيء".

وقال الحافظ جلال الدين السيوطي (ت ٩١١ هـ): «عبد العال خليفة سيدي أحمد البدوي. كان له شهرة بالصلاح، يُقصد للزيارة والتبرك. مات بطندتا في ذي الحجة سنة اثنتين وثلاثين وسبعمائة».

تولى خلافة المقام الأحمدي بعده أخيه زين العابدين في الفترة من ٧٣٢هـ وحتى ٧٥٤هـ، وقد أختلط على البعض اسمه فجعلوه "زين الدين عبد الرحمن"، والصحيح أن عبد الرحمن هو الخليفة الرابع، حيث ترجم له ابن حجر العسقلاني وشمس الدين السخاوي، وسيأتي ذكره.

ثم تولاها أخيه نور الدين علي في الفترة من ٧٥٤هـ وحتى ٧٨٩هـ. وبحسب نورالدين علي بن إبراهيم الحلبي(ت ١٠٤٤ هـ) في "النصيحة العلوية"، فهو أول خليفة يوقف وقفاً على الرباط الأحمدي، حيث أوقف قرية النخلة البحرية التابعة لمركز أبو حمص بمحافظة البحيرة على مصالح المقام الأحمدي، ولم نستدل على أصل هذا الوقف أو على أي وثيقة تخصه.

ثم تولاها أخيه عبد الرحمن في الفترة من ٧٨٩هـ وحتى ٨٠٣هـ، وعبد الرحمن هذا كان ذاع الصيت ذكره الحافظ ابن حجر العسقلاني في "إنباء الغمر": "عبد الرحمن الطنتدائي المعروف بالخليفة شيخ الطائفة السطوحية، كان ينزل المدرسة الفارسية من القاهرة، ويعمل بها بعد صلاة الجمعة عنده سماع فيحضر الخلائق، وكان متودداً قل أن ترد شفاعته، مات في جمادى الآخرة".

وضريحه بالمسجد الأحمدي، وعبد الرحمن هو أخر أخوة الشيخ عبدالعال الذي تولوا الخلافة لتنتقل بعد ذلك لذرية أخيهم الأكبر عبد المجيد، ويبدو أن عبد المجيد لم يكن له حظ في الخلافة، وإنما كان له حظ في خدمة شيخه البدوي في حياته، وتوفى في حياة البدوي حسب الإمام عبد الوهاب الشعراني، وصاحب "الجواهر السنية"، وكان عبد المجيد يتردد مع أخيه عبدالعال على السيد البدوي وتأدب بآدابه، وكان لا ينام تعباً له، واستمر على صلته بشيخه حتى وفاته، ودفن ببلدته فيشا سليم (فيشا المنارة) وله مسجد بها لا يزال قائماً إلى اليوم.

وقد صرح العلماء من أهل القرن التاسع الهجري بانحصار الخلافة على المقام الأحمدي في ذرية أخوة عبدالعال، ومنهم السخاوي في الضوء اللامع، وابن تغري بردي في النجوم الزاهرة، وغيرهم، والمقصود انحصارها في ذرية أخيه عبد المجيد حتى النصف الثاني من القرن التاسع الهجري.

الطريقة الدسوقية

تنسب للعارف بالله سيدي برهان الدين إبراهيم الدسوقي القرشي الحسيني، وهو شيخ الطائفة البرهامية، وصاحب المحاضرات القدسية، والعلوم اللّدُنية والأسرار العرفانية. تفقه على مذهب الإمام الشافعي رضي الله عنه، واقتفى آثار السادة الصوفية، عُرفت طريقته بالبرهانية والإبراهيمية والدسوقية، فالبرهانية نسبة إلى برهان الدين، والإبراهيمية نسبة إلى اسمه إبراهيم، والدسوقية نسبة إلى الشهرة المكانية وهي مدينة دسوق.

اتفق المؤرخون أنه عاش ٤٣ عاماً، واختلفوا في سنة وفاته، فذهب البعض انه توفي سنة ٦٧٦هـ، ومنهم الإمام الشعراني، والإمام الوتري، والمناوي، وعبد القادر الطبري، وابن العماد الحنبلي ومرتضى الزبيدي، بينما ذهب البعض الأخر أن وفاته كانت سنة ٦٩٦هـ، ومنهم جلال الدين الكركي شيخ مسجد الدسوقي بدسوق في القرن العاشر الهجري، والمفتي زين الدين أبي المعالي حسن شمة الفوي، ومحمد أمين بن حبيب المدني.

ويبدو أن التاريخ الأخير هو الأرجح لأن الجلال الكركي هو أعلمهم بالبيت الدسوقي وأخباره، ووصف اللحظات الأخيرة في حياة الشيخ الدسوقي، كما ذكر أنه أرسل نقيبه لأخيه العارف شرف الدين موسى أبو العمران بالقاهرة، والذي كان مقيماً بها يربي السالكين في حياة أخيه.

بعد وفاة الشيخ الدسوقي تولى أمر الطريقة شقيقه الشيخ شرف الدين موسى أبو العمران، والذي كان أصغر سناً من شقيقه الدسوقي، وعاش متنقلاً بين دسوق والإسكندرية مجتهداً في نشر العلم، وتربية المريدين حتى أدركته الوفاة بالإسكندرية سنة ٧٢٩هـ، وقيل سنة ٧٣٩هـ بحسب الجلال الكركي والذي قال: «وكانت وفاة الشيخ موسى بالثغر السكندري سنة سبعمائة وتسع وثلاثين (٧٣٩هـ) بعد عشرة السبعين، وحُمل إلى دسوق ودُفن بقرب شقيقه سيدي إبراهيم من الجبهة القبلية».

ويروى أن من كبار خلفاء الدسوقي المعاصرين للسيد موسى أبي العمران، السيد الشريف العارف الزاهد الشهير سليمان

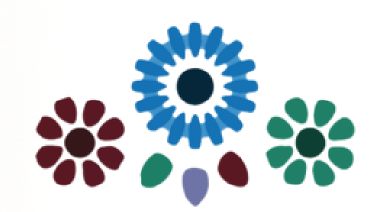
البسيوني بن عثمان بن علوان بن يعقوب الإدريسي الحسنى، صاحب المسجد المعروف بمدينة بسيون بمحافظة الغربية، المتوفى سنة ٧٣٥ هـ، وقد بُني مسجده هذا محل الخلوة التي كانت يتعبد فيها. بعد وفاة السيد موسى أبي العمران تولى أمر الطريقة الدسوقية ابنه السيد شمس الدين محمد بن أبي العمران موسى، ويسمى أيضاً بدر الدين محمد. ثم استخلف من بعده ولده لصلبه الورع الزاهد الشيخ جمال الدين عبد الله المتوفى عام نيف وثمانمائة. وله قصة مشهورة مع السلطان المملوكي الظاهر سيف الدين برقوق (ت٨٠١هـ) ذكرها الجلال الكركي. ثم استخلف من بعده ابن عمه العارف أبو عبد الله شمس الدين محمد بن العارف ناصر الدين محمد بن أيوب بن أبي المجد، وكانت وفاته سنة ٨٣٤هـ.

ثم تولاها علي بن محمد بن علي بن ذي الاسمين أيوب عثمان بن ذي الاسمين عبد العزيز عبد المجيد الشهير بأبي المجد بن محمد ابن عبد العزيز ابن قريش، المُترجم له في "الضوء اللامع" للشمس السخاوي. وأيوب في نسبه، هو أخو الشيخ إبراهيم الدسوقي. ولد سنة ٧٧٥ هـ بأبي درة من أعمال البحيرة، وأخذ الطريقة الدسوقية عن ابن عمه الجمال عبد الله بن محمد بن موسى المتوفى بدسوق في سنة نيف وثمانمائة، وقصد المترجم له دسوق من سنة ٨١٢ هـ إلى أن مات شيخ المقام الإبراهيمي بها، وهو ابن عمه الشمس محمد بن ناصر الدين محمد بن أيوب سنة ٨٣٤هـ، فاستقر عوضه في المشيخة، فباشرها حتى توفى ليلة الجمعة ١١ رمضان سنة ٨٥٩هـ بدسوق، ودُفن عند الضريح البرهاني.

خاتمة

وهكذا استمرت الطرق في الظهور والانتشار خلال القرون التالية، ففي القرن الثامن الهجري ظهرت الطريقة النقشبندية التي تنسب للشيخ بهاء الدين نقشبند البخاري (ت٧٩١هـ)، والطريقة الخلوتية والتي نشرها في مصر العارف الشهير الشيخ مصطفي كمال الدين البكري (ت١١٦٢هـ) ويعود سندها لأبي نجيب السهروردي مؤسس السهروردية، وغيرها من الطرق.

لقد تأسست الطرق لتكون مدارس تربية روحية حقيقية، غايتها التطهير النفسي والتقويم السلوكي للمريد، وتعمير الأوقات بالنوافل والقربات، والتحرر من نزوات المادة وشهواتها الفانية والتي هي سبب كل الخطايا والمهلكات. والطريق عهد بين المريد والشيخ على أن لا يرتكب صغيرة أو كبيرة وأن يكون طاهر الجسد والروح معاً. فالتصوف عبادات خالصة، وأخلاق كريمة، ومجاهدات، وسلوك تطبيقي يهدي إلى مقام الإحسان الذي فصله النبي ﷺ في الحديث الشريف بقوله :«أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك». فهذا هو التصوف الحقيقي المؤسس على الكتاب والسنة، وهؤلاء هم مشايخه أئمة الإسلام.



٨

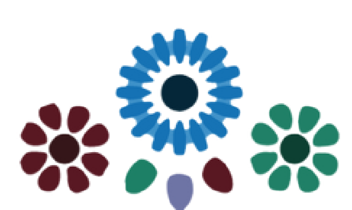
أنت المنى يا غاية الغايات

د. محمد وسام عباس خضر

أمين الفتوى بدار الإفتاء المصرية



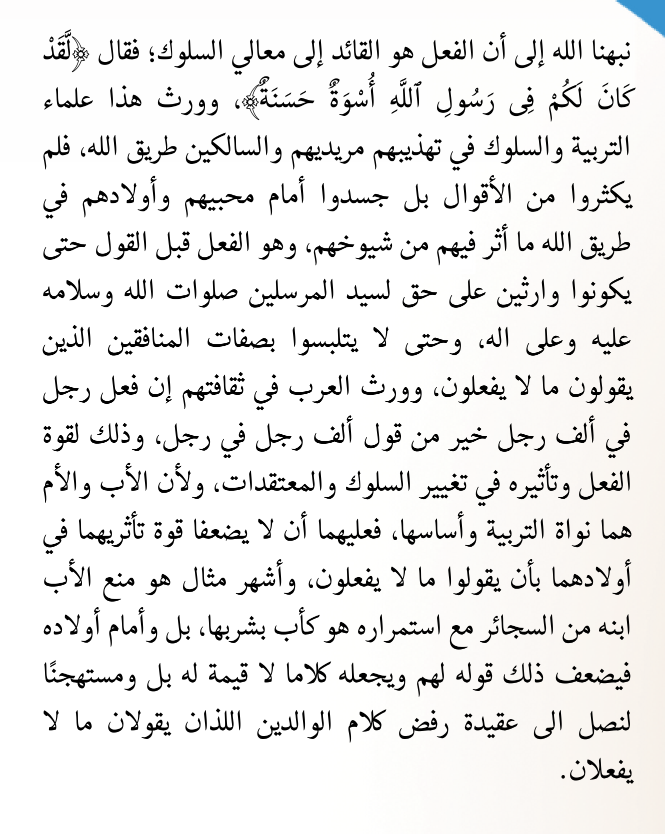
أفتَغْتَدي جَنّاتُها غاياتي   وحَفِيفُ نعلكَ غايةُ الجناتِ
وصَلاتُنا لله وهو بذاته   صلَّى عليك مُضاعَفَ الصلواتِ
خضع الثريّا للثرى إذ مسَّه   خيرُ الورى ما نجمةٌ كحصاةِ
بك يا سماءَ الكون قد سَمَت السما   والعرشُ فيك كحلْقة بفلاةِ
ما زاد قدرَك سدرةٌ أو منتهًى   والله إنك مُنتهَى السِّدَراتِ
هذا البراقُ بنوركَ الوضَّاء قد   أضحى حديدَ العينِ والخَطَواتِ
جبريل لم يكُ قائدًا بل حاجبًا   متقدمًا لكَ أنّ أحمدَ آتِ
إنّ الدليلَ وإن تقدَّم تابعٌ   مدلولُه متقدِّمٌ بالذاتِ
لما وصلتَ لأصل موطنك انثنى   جُزْ يا حبيبُ قد انتهَتْ مِرقاتي
أنا إن تقدمتُ احترقتُ وأنت إن   سِرْتَ اخترقتَ فأنت نورُ الذاتِ
يا قابَ قوسَيْ ذاتِه وصفاتِه   فالنورُ في المشكاة كالمرآةِ
الوحيُ منك له أفيض فقيل: لا   تَعْجَلْ به يا مُلهمَ الآياتِ
أصلُ المعارفِ -يا مدينةَ علمِه-   أمَّتْكَ -يا أُمِّيُّ- مُعترِفاتِ
لم تَتْلُ مِن كتبٍ فربُّكَ كاشفٌ   لك كلَّ علم دونما صفحاتِ
أم كيف تتلوها وأنت مفيضُه   أنت الذي بك كُنَّ مُكتَتَباتِ
ابحرُ العلوم فمنك تَقتَبِسُ الورى   وعلومُهم في البحر كالقطراتِ
الله أوجد خلقه وأمدَّهم   مِن نورك المتلألئ السبحاتِ
أسماؤه يا نورُ فيك تحقَّقَتْ   وحباك منه اللهُ خيرَ صفاتِ
والله يا مختارُ نورُك لم يزَلْ   يَختار آباءً ذوي عزمات
الساجدين العابدين لربهم   الماجدين مفرجي الكربات
السادةَ الأخيارَ ملجأَ قومهم   الكاشفي الغُمّاتِ في الأزماتِ
والأمهاتِ فما لهن مكافئ   أرحامهن مواطنُ البركات
الطاهراتِ أصولُهن مغارسًا   والطيباتِ مجانيَ الثمرات
المطعماتِ بكل وادٍ أهلَه   والمحيياتِ هلاكَ كلّ مَوَاتِ
الحانياتِ على الولائد رحمةً   أُمّاتُه ما هنَّ كالأُمّاتِ
في خير أصلابٍ لأرحامٍ سَرَتْ   فالنور يسري في أجل ذواتِ
هم خيرُ أهل الأرض في أعصارها   فالدر يسكن أعظم الصدفاتِ
لك يا مكمَّل كلُّ حسنٍ ينتمي   يا سرَّه الساري ونورٌ ذاتي
مجلى الكمالات التي لا تنتهي   أبدًا فمجدُك أرفعُ الدرجاتِ
يا رحمةَ الله التي ما جاوزت   مِن خلقه شيئًا بغير هباتِ
يدُك اليدُ العليا التي لا تنقضي   نفحاتُها يا منبعَ النفحاتِ
مَن بايعوك فربَّهم قد بايعوا   سبحان مَن أنشاك مجلى الذاتِ
ويقول: خُذْ صدقاتهم وليعلموا   أني أنا مَن آخذُ الصدقاتِ
ويقول من يطع الرسول فقد أطا   ع الله نصًّا محكمَ الآياتِ
خُيِّرْتَ موتًا أو تعيشَ مُخلَّدًا   فاخترتَه خُلْدًا ولو بمماتِ
ما الموتُ منك سوى الحياة تستَّرَتْ   عن منكريها من ذوي الغفلاتِ
وتضاعفَتْ حتى أُفيضَت في الورى   نورًا فأنتَ مُضاعَفُ الحَيَوَاتِ
منك الحياة تفاضُ يا غوث الحيا   يا روحَ محيائي ونورَ مماتي
لم تخْلُ منكَ إلى القيامة لحظةٌ   مهما ذُكِرْتَ أتيتَ بالخيراتِ
بك يا شفيعُ تُقُبِّلَتْ أعمالُنا   حتى دُعِيتَ مُصححَ الحسناتِ
وصفحتَ عن زلّاتنا متكرمًا   وأقَلْتَنا مِن وَهْدة العَثرات
فا أيها المعصومُ كن لي عاصمًا   مما سواكَ فأنتَ سرُّ حياتي
واللهِ ليس كمثله في خلقه   ماضٍ على أزمانها أو آتِ
صلَّى عليك اللهُ يا غوثَ الندَى   مها أفاض الحبُّ مِن عبراتِ
وعلى الهُداة الهاشميين الألى   بقدومهم مستفتَحُ الجنّاتِ
وعلى الأصولِ الطيبين ظهورُهم   وبطونُهنَّ بأكْرَمِينَ كُماةِ
آلِ الخليل الساكني أم القرى   حتى يجيءَ معلِّمُ الآياتِ
وعلى أبيه وأمه خير الورى   أوفى فتًى كفؤٍ لخيرِ فتاةِ
المؤمنَيْنِ بلا ارتيابٍ إذ هما   لنبوة المختارِ خيرُ وُعاةِ
يا روحَ روحي يا هنايَ ومهجتي   أنت المُنَى يا غايةَ الغاياتِ





٩ التربية هي القدوة الحسنة

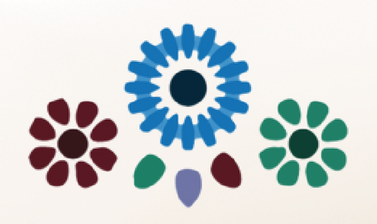
منى خليل المنقوش



نبهنا الله إلى أن الفعل هو القائد إلى معالي السلوك؛ فقال ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾، وورث هذا علماء التربية والسلوك في تهذيبهم مريديهم والسالكين طريق الله، فلم يكثروا من الأقوال بل جسدوا أمام محبيهم وأولادهم في طريق الله ما أثر فيهم من شيوخهم، وهو الفعل قبل القول حتى يكونوا وارثين على حق لسيد المرسلين صلوات الله وسلامه عليه وعلى اله، وحتى لا يتلبسوا بصفات المنافقين الذين يقولون ما لا يفعلون، وورث العرب في ثقافتهم إن فعل رجل في ألف رجل خير من قول ألف رجل في رجل، وذلك لقوة الفعل وتأثيره في تغيير السلوك والمعتقدات، ولأن الأب والأم هما نواة التربية وأساسها، فعليهما أن لا يضعفا قوة تأثيرهما في أولادهما بأن يقولوا ما لا يفعلون، وأشهر مثال هو منع الأب ابنه من السجائر مع استمراره هو كأب بشربها، بل وأمام أولاده فيضعف ذلك قوله لهم ويجعله كلاما لا قيمة له بل ومستهجنًا لنصل الى عقيدة رفض كلام الوالدين اللذان يقولان ما لا يفعلان.

والمثال المنتشر بيننا أيضًا مثال أمر الوالدين ابنائهم بالتراحم بينهم مع أن أولادهم لا يلمسون الرحمة من والديهم لهم، فيكون هذا أشبه بطلاسم غير مفهومة ولا مجال لتطبيقها، لأنهم لم يرو المثال العملي أمامهم، ومثله أيضا أذا كان أحد الوالدين أفكاره سلبية ونظرته سوداوية، فإذا تأثر الأولاد بهذا وصارت مشاعرهم تجاه آبائهم سلبية، طالبهم الأباء بأن ينظروا اليهم بإيجابية، فهذا حصاد ما زرعه الآباء، الأولاد يكتسبون العادات من البيت والبيئة المحيطة بهم، فالأولاد بدون قدوة مثل الشجرة تورق ولا تثمر، فهم يحتاجون إلى قدوة فى العقل والقلب والسلوك، ليكون فكرهم مستقيما ومشاعرهم متزنة وعملهم صحيحا. ومن نظر إلى واقع الناس، سيجد أن فقد القدوة عند الأبناء هو أن الأباء والأمهات غير مستقرين نفسيا لفقدهم تكوينات أصيلة للإنسان في مراحل حياتهم؛

فالمعلومات غير صحيحة، والمشاعر مضطربة لتعرضهم لأساليب غير سوية أو المعاملة غير الانسانية من أسرهم أو مجتمعاتهم؛ لذلك فمثل هؤلاء الآباء غير مؤهلين لتربية أولادهم، لفقدهم كل هذه التكوينات والمعايير التي تنتج جيلا سليما، فكيف لأبوين قد فقدا كل هذا أن يكونا مسئولين عن توصيل ما يحتاجه الأولاد من ترسيخ للإيمان والخُلُق السلوكي، والنضج العقلي والاتزان النفسي؛ فاستقرار الوالدين نفسيا وعقليا وقلبيا ينشئ الأولاد في هدوء وأمان، فأمثال هذين الوالدين لا يصلحان لصحبة أولادهم لفقدهم معايير التأثير، وقد أشار تاج أهل الله ابن عطاء إلى ذلك المعنى الذي رآه في شيخه الذي هو والده في طريق الله فقال معبرا عن كل هذا «لا تصحب من لا ينهضك حاله»، والمقصود بالصحبة هو الصحبة التربوية لا البيتية والجسمية، بمعنى أن تعرف وتشاهد أمورا تجذبك إلى من يتولى أمر تهذيبك فيؤثر فيك هذا وليس شرطا أن يكون ليل نهار بجواره، وقول ابن عطاء هنا بيان إلى أن نتيجة الصحبة ستكون صفرا إن كان حال الوالدين كما وصفنا، فهنا تنبيه للوالدين وليس خطابا للأولاد الذين لم يطلعوا على كلام ابن عطاء أصلا؛ لذلك فالقدوة حاجة إنسانية وضرورة تربوية، وهنا يصاب الأبناء بخيبة الأمل بعد فوات زمن التربية والتكوين فى الصغر عندما يكتشفون أن الوالدين ليسوا بقدوة حسنة، ... وللحديث بقية.





القطب الغوث

الرجل الكامل، سُكرُدَان الأولياء

سيدي أبو العباس المرسي

(١)



عبد العزيز معروف

باحث في التراث الإسلامي

لِـي سَــادَةٌ مِــنْ عِــزِّهِــمْ   أَقْـدَامُـهُـمْ فَـوْقَ الْـجِـبَـاهْ
إِنْ لَـمْ أَكُـنْ مِـنْـهُـمْ فَـلِـي   فِـي ذِكْـرِهِـمْ عِـزٌّ وَجَـاهْ

هكذا كان ينشد سيدي أبو العباس المرسي حينما يذكر أمامه اسم شيخه القطب الأكبر سيدي أبي الحسن الشاذلي، ولم لا وهو سنده وموصله إلى الله، فقد قال له القطب الشاذلي: « يا أبا العباس ما صحبتك إلا لتكون أنت أنا وأنا أنت»(١)، وقد كان، فظهر بعلوم شيخه وأحواله، ونشر طريقته، ففسر مجملها وبسط مختصرها، ورفع منارتها، وبث أنوارها، فقال فيه شيخه وسندنا وملاذنا القطب الشاذلي، لسيدي مكين الأسمر: «يا زكي، عليك بأبي العباس فو اللهِ إنه ليأتيه البدوي يبولُ على ساقيه، فلا يمسي عليه المساء، إلا وقد وصَّله إلى الله.. يا زكي عليك بأبي العباس، فو الله ما من ولي لله كان أو هو كائن، إلا وقد أظهره الله عليه... يا زكي: أبو العباس هو الرجل الكامل»(٢).

والسؤال الآن : من هو سيدي أبو العباس المرسي؟ وما قصته ؟ وما هي العلوم التي بثها ونشرها؟ وكيف كانت علاقته مع شيخه وتلاميذه؟ وكيف نستخلص من سيرته العطرة ما يكون لنا مصباح نور نسير به في طريق الله؟ وسأحاول أن أجاوب عن هذه الأسئلة في سلسلة من المقالات، فاللهم يسر وأعن.

من هو سيدي أبو العباس المرسي؟

في يوم من أيام سنة ٦١٦هـ/١٢١٩م، أنارت مُرْسِية، بمولد رجلٍ كاملٍ سيكون له الأثر الكبير في المشرق والمغرب وسيلقّب بـ"سُكُردان الأولياء، يعني: خزانة الأولياء"(٣)، رجل ينتهي عمود نسبه إلى نسب أصيل كله فخر وعزة ونُصرةٍ للدين، هذا الرجل الكامل، هو: سيدي أحمد بن عمر بن علي الخزرجي الأنصاري المرسي البلنسي، الذي يتصل نسبه بالصحابي الجليل سعد بن عبادة الأنصاري (رضي الله عنه) سيد الخزرج وصاحب سقيفة بن ساعدة التي تمت فيها البيعة لسيدنا أبي بكر الصديق- رضي الله عنه- بالخلافة.(٤)

١- لطائف المنن لسيدي ابن عطاء الله السكندري(ص:٢٠٠).

٢- المرجع السابق، وينظر: تعطير الأنفاس بمناقب سيدي أبي الحسن الشاذلي والمرسي أبي العباس، للشيخ علي الرميلي الصعيدي (ص:١٥٨)، ط: الوابل الصيب، تحت إشراف: أ د علي جمعة -قدس سره-

٣- قال العلامة شهاب الدين الخفاجي في "شفاء الغليل فيما في كلام العرب من الدخيل" (ص: ١٨٢، ط. دار الكتب العلمية):
(سُكُرْدان)، بضمتين فسكون ودال مهملة خوان الشراب. وقال العلامة أحمد رضا في "معجم متن اللغة":
دان "دخيلة فارسية": معناه الظرف والمكان، جاءت في العصر العباسي ملحقة للدلالة على معناها مثل شمعدان للمنارة التي توقد عليها الشموع؛ وسُكُردان لخزانة الشراب، ثم توسعوا فيها كثيرًا: مجلة م د: ٣: ١٣٨. أفادني بهذا العلامة الهمام: الدكتور محمد وسام.

٤- أبو العباس المرسي ومسجده الجامع بالإسكندرية، لحسن السندوبي، مطبعة دار الكتب المصرية، (ص:٤١)

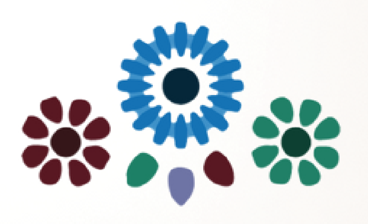
نشأ رضي الله عنه بـ"مُرْسِيه"(٥)، وإليها نسب، فقيل: المرسي، وهِي إحدى مدن الأندلس، اختطها (وضع أسس المدينة وحدودها): عبد الرحمن بن الحكم بن هشام (المعروف: بالأوسط)، وهي مدينة ذات أشجار وحدائق محيطة بها(٦).

نشأته: كان والده رجلا صالحا، يعمل تاجرا، وسيظهر أن عمل والده وسعيه للأكل الحلال سيؤثر في نشأة ولده، اعتنى بتربية ولده، كما كانت عادة المسلمين قديما، فلما بلغ سن التعليم بعثه أبوه إلي المعلم ليحفظ القرءان الكريم و يتعلم القراءة و الكتابة و الخط و الحساب، فظهرت فيه علامات النجابة وتوقد الذهن، فحفظ القرآن في عام واحد، وأيضا ظهرت فيه علامات الولاية والعناية، فذكر سيدي ابن عطاء الله عنه أنه قال: كنت وأنا صبي عند المؤدب، فجاء رجل فوجدني أكتبُ في لوح، فقال لي: «الصوفي لا يُسَوِّدُ بياضًا»، قال: فقلت: «ليس الأمر كما زعمت، ولكن لا يُسَوِّدُ بياضَ الصحائف بسوادِ الذنوب»(٧).

وقد شهد فيه شيوخه وهو صغير، علامات الولاية: يقول رضي الله عنه: عمل إلى جانب دارنا خيال الستارة -وأنا إذ ذاك صبي فحضرته- فلما أصبحت أتيت إلى المؤدب، وكان من أولياء الله تعالى فأنشد حين رآني:

يَا نَـاظِـرًا صُـوَرَ الْـخَيَالِ تَعَجُّبًا   وَهْـوَ الْخَيَالُ بِعَيْنِهِ لَوْ أَبْصَرَا

وللحديث بقية.



٥- بضم الميم، وسكون الراء، وكسر السين المهملة، وياء مفتوحة خفيفة، وهاء.
٦- معجم البلدان، المؤلف: شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي الحموي، (٥/١٠٧)، الناشر: دار صادر، بيروت، الطبعة: الثانية، ١٩٩٥ م.
٧- لطائف المنن، ص:٨٧.



الرؤية الفلسفية عند فضيلة الدكتور علي جمعة

١١

د. وائل النجمي
ناقد وباحث في الشئون الثقافية

أحد الأسئلة التقليدية في الثقافة المصرية: لماذا لا يتحقق التطور الحضاري الذي حلم به الرواد الأوائل؟ وعادة تنحصر الإجابة في لوم السلطة، والاشارة إلى تعصب وتحجر المؤسسات الدينية الرسمية وغير الرسمية؛ ويصبح الحلّ مِن منظورِ المُثقفِ المصري فرضَ رؤيته الثقافية - رغم تعدد الرؤى واختلافها - بنوع من السلطويّةِ على مختلف فئات الناس في الواقع، وإجبارهم على العيش وفقا لها؛ فيتم تغيير عادات الناس وسلوكياتهم بدون اقتناع منهم.

فالمهم في هذا الطرح أن يتحقق النموذج المعرفي الذي ينتمي المثقف له، حتى لو بُدونِ إقناعٍ لمن سينفذه، ونتيجة لهذه الرؤية تَصادمَ المُثقف أحياناً مع القوى الاجتماعية، ومع السيادة القانونية، فوجد نفسه - وهو الداعي لاحترام القانون - تحت طائلته أحيانا؛ ليعود من جديد مستنكرا بعض المواد القانونية التي سمحت للمختلفين معه بمحاسبته وإدانته، وهو ما يعكس - من منظوري - تشوشا كبيرا حول المنهج والرؤية والطريقة التي حاول بها المثقفون المصريون على مدى العقود الماضية دفع المجتمع المصري لتجاوز أزمته الراهنة.

وأرى أنه طوال هذه الفترة لم تتم مراجعة حقيقية للخلل في الرؤية الثقافية التي حاولت سد الفجوة الحضارية؛ والنتيجة تتحول هذه الرؤية في النهاية إلى نوع من الاتهام المتبادل بين فئتين – فئة داعية لنموذج معرفي غربي النزعة، وأخرى داعية لنموذج معرفي تراثي النزعة، بداخل كل فئة منهما تيارات كثيرة متباينة، إلا أن كل واحدة من الفئتين ترى المشكلةَ تحديدًا في الفئة الأخرى، وعلى نحو من اطلاق الشعارات يصبح الدين بين الفئتين هو المشجّبُ الذي يتم تعليق انتقاد كل فئة منهما للأخرى،

إما أن يكون التمسك به هو السبب في عدم القدرة على التحرك للأمام، أو أن البعد عنه هو السبب في عدم التحرك للأمام، وبغير وعي تُقدُّم كلَّ فئة منهما إما إنكارا لدور الدين في المجتمع، أو إنكارا لدور الثقافة في تطوير المجتمع ومواجهته لمشكلاته.

النقطة الأولى إذن هي تحديد جوهر الأزمة الراهنة، والتي يمكن أن أختزلها في أنها: الفارق في أسلوب المعيشة والرفاهية وإنتاج واستخدام التكنولوجيا بتطبيقاتها المختلفة والمتعددة بين مجتمعنا والمجتمعات الأكثر قدرة على انتاج التكنولوجيا وتصدير تطبيقاتها المتنوعة، ونلاحظ في هذه اللحظة الراهنة وجود تعددية في النماذج المعرفية، كل نموذج منها استطاع بطريقته مواكبة واحتواء التطورات التكنولوجية والمتغيرات العالمية، فأصبح هناك غرب وشرق حضاريين، نتيجة صعود قوى اقتصادية وعسكرية وتكنولوجية جديدة بثقافات وانتماءات فكرية متنوعة مثل الصين والهند وروسيا ودول شرق آسيا وغيرها.

عند وضع كل هذا في الخلفية، يَبرز فضيلة الدكتور علي جمعة بوصفه أحد أصحاب المشروعات الثقافية ذات الرؤية الفلسفية المهمة التي يمكنها تجاوز الفجوة الحضارية بيننا وبين الحضارات الأخرى، وبمعنى أدق إنهاء الصراع بين النماذج المعرفية المتاحة، فتتكامل ثنائية الحداثة والتراث، الأصالة والمعاصرة كروافد تكمل بعضها بعضا، بدلا من محاولة كل نموذج منهما إلغاء الآخر، والقضاء عليه.

وإذا ما حاولنا فهم لماذا لم ينتبه المثقفون إلى هذا المشروع؟ فقد تكون إحدى التفسيرات لما حال دون ذلك ما يلي:

ـ كمية الأدوار الدينية والاجتماعية التي يمارسها فضيلة مولانا (علي جمعة)، مما يجعل المثقفين لا ينظرون له ذات النظرة لمن ينادون بالتنوير من المثقفين أنفسهم، الذين يقتصر نشاطهم على طرح المقالات واجراء الحوارات وفي أحسن الظروف يكون لهم دور أكاديمي فقط. أما فضيلة مولانا فقد تقلد العديد من المناصب المختلفة في المؤسسة الدينية الرسمية التي يهاجمها المثقفون عادة، فكان فضيلته المفتي الرسمي لجمهورية مصر العربية، كما أنه عضو هيئة كبار العلماء بجانب كونه مؤسس الطريقة الصديقية الشاذلية، وعضوا في المجلس الأعلى للطرق الصوفية، وعضوا في مجمع البحوث الإسلامية، وعضوا بالمجمع العلمي، وبجانب ذلك يبرز دور مولانا الاجتماعي والتطوعي في العمل العام، وعضويته في البرلمان. وهذا ما لم يعتده المثقفون في الشخصية الثقافية، التي ينحصر دورها في تصورهم في الندوات والكتابات والحوارات ورئاسة تحرير الصحف؛ لذا أقول: ربما كان لذلك دوره الذي جعل المثقفين لا يصلون لما في رؤية مولانا من تأسيس لمشروع ثقافي حضاري.

ـ فضلًا عن الحملة الإعلامية الشرسة التي قادتها دول وأجهزة متخصصة في النَّيْلِ من فضيلة الدكتور علي جمعة بغية التعتيم على أفكاره، وتقليل تأثيره في نفوس الشباب المصري والعربي؛ نظرا لما تمتع به مولانا العلامة من رؤية وطنية وحِسّ قومي مخلص أسهم في دحض مخططات الفوضى، ومواجهة تيارات التشدد والإرهاب؛ مع حُجَّة علمية رصينة وفهم وإدراك واعيين لأسس العلوم الدينية بما يعري تيارات التشدد والتطرف والإرهاب من أية أرضية إسلامية يقفون عليها، فلا يبقى بعد ردوده عليهم، وتحليل أفكارهم، سوى الوجه العفن للتعصب والتطرف والخيانة للوطن.

كل ذلك ربما جعلنا لم ننتبه للنموذج المعرفي الذي يشير إليه الدكتور علي جمعة بوصفه مُستنبطا من كلٍّ من: عقيدة المسلم، والرؤية الكلية للإنسان والكون والحياة؛ ليبني مذهبًا فلسفيًّا قائم على فكرة الإله المفارق، الخالق لهذا الكون لكنه غير متماهي فيه، ومن ثم فالله موجود، وهو موجد الوجود بكل مخلوقاته بما فيها نحن، وهو سبحانه قائم بذاته، ليس كمثله شيء وهو السميع البصير.

وهذه الرؤيةُ المُستمدّةُ مِن العقيدة السُّنيّةِ: الأشعرية والماتريدية الواضحة الغراء، التي تنزه الله تعالى على الشبيه والمثل، وهي العقيدة التي تتناقض مع الفكر المتشدد الذي يرفض منهج أهل السنة والجماعة، ويصر على وجود الله بالجهة والمكان والحيز في الكون، وذلك تفسير قولهم الله موجود في السماء، وهي الخطوة الأولى التي أوقعت الفلسفية الغربية في التوجه نحو الإلحاد، فَرُويدًا مهدتْ لحُلول الخالق فيما خلق، ثم رويدا أعلن نيتشه موت الإله ولم تبق إلا الطبيعة من حول الإنسان بقوانينها الخاصة بها، دون أيَّةَ قوانين أخرى أو وصاية سماوية عليها؛ ليصبح الإنسان في مواجهة شهواته ورغباته ومواجهة جموح الطبيعة أيضا. وكلا الفكرين: المقر بوجود الله مع هيئة وجسم ومكان وناحية، أو الذي ينفي وجود الإله، ينتج عنهما مشكلات في النواحي الأخلاقية والاجتماعية، ولم تنجح الدعوة لأي منهما لجعل أيًّا مِن هَذِه الرؤية سائدة لدى المجتمعات العربية.

وهنا يبرز نموذج فضيلة الدكتور علي جمعة بوصفه قادرا على حل المعضلات التي تواجه التحول للتقدم مع الاحتفاظ بسمت الهوية الإسلامية، ودون مخالفة الشريعة أيضا، مع التوضيح بأن أحكام الشريعة تتعرض في بعضها للتغير والتبدل والتطور مع مستحدثات العصر، وما ضربه فضيلة الدكتور علي جمعة عندما كان مفتيا لمصر نفسه من فتاوى مستندة لأسس العقيدة والسنة والفهم الأمثل للنص القرآني يحتاج بمفرده لعشرات المقالات والدراسات، وأنوه هنا بالمناظرة التي جمعت فضيلة الدكتور علي جمعة والأستاذ أحمد عبد المعطي حجازي، والتي عبر فيها حجازي عن انبهاره بفكر الإمام، وذلك ضمن حلقات برنامج البيت بيتك.

إذن ليست المشكلة في أحكام يرى البعض أنها رافضة للواقع بقدر ما هي مشكلة الرؤية للواقع، وامتلاك أدوات تحليله، وهو أحد عناصر وأركان تجديد الخطاب الديني، ومن ثم اليقين المسبق بأن النموذج الغربي بعلمانيته المفرطة وإلحاده وتشكيكه وطعنه في ثوابت الإسلام سوف يدفع المجتمع للأمام، قد جانبها التوفيق مع كل محاولات تطبيقها في الواقع العربي والمصري، فقد أبصر الجميع فشلها في تحقيق مكاسب علمية واجتماعية كبيرة على أرض الواقع في ظل العقود الطويلة التي بدأت مع إرسال البعثات العلمية الكبرى لأوروبا منذ عام ١٨٢٦م في عصر محمد علي، ليظهر الاحتياج على أرض الواقع لنموذجنا المعرفي الخاص بنا، القائم على استقراء واقعنا واستنباط الحلول المطابقة لخصوصياته.

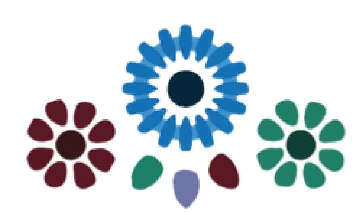
وهنا تبرز أيضا مقولة الدكتور علي جمعة عن كتاب الله المسطور، وكتاب الله المنظور، بوصفها مصباحا يمكن أن يُنير الطريق، فبدلًا مِن مُعاداة الواقع في النموذج المدعي للتدين والغارق في التطرف، والذي يرغب في القضاء على كل مظاهر المدنية المعاصرة، والعودة بأساليب الحياة وعصريتها إلى ما كانت عليه أساليب الحياة ومعيشتها في عصر النبي ﷺ، دون إدراك منهم أن هذه الأساليب هي نفسها ما كانت موجودة في عصر الجاهلية، ومن ثم فليست المزية في أساليب المعيشة، وإنما في أخلاق النبي ﷺ.

فالإسلامُ لا يَرغب تجميدًا للواقع ولا يَفترضُ ذَلك، وإنما قِصر عقولهم عن إدراك مفهوم كتاب الله المنظور، الذي يأمرنا الله بالتأمل في خلقه من حولنا، وإعمار الكون على أحسن وأفضل ما يكون، ومن ثم يصبح التقدم العلمي والبحث والتجريب هو من مهام التكاليف الواجبة علينا، وليست أمرًا خارجًا عن المألوف، يصبح هذا التشدد والتحجر ناتجا عن سوء فهم لمراد الله في كونه، وعدم التعامل مع الواقع على أنه أيضا دال على وجود الله في كل لمحة وكل نفس، فلولا إمداد الله لهذا الكون بالوجود لفني وعدِم، ومن ثم فالكسل العقلي الذي استسلمت له الأمة العربية والإسلامية لقرون طويلة ليس له ما يبرره، وليس له أي أصل في الاسلام.

وهذه الرؤية تمتاز أيضا أنها تتفاعل مع الكون بمحبة، ولا تنظر للعناصر والذرات والمخلوقات على أنها مجرد أدوات لتحقيق غايات علمية قد لا تحكمها الجوانب الأخلاقية، وإنما تنظر لكل ذرة في الوجود على أنها ذات دلالة على موجد الوجود، فهي من صُنْعِه سبحانه، وأودع فيها من حكمته، ودورنا البحث عن هذه الحكمة، وتحقيق المنفعة والمصلحة للبشرية بما يضمن توازن الكون وعدم الطغيان في توازن عناصره، وهو ما يتوجه إليه العالم حاليا بعدما أدى الإخلال بالتوازن البيئي إلى تغيرات مناخية ضارة جدا.

إذن لدى فضيلة الدكتور علي جمعة منظور ثقافي قائم على فلسفة إسلامية مستمدة من الرؤية الكونية والطبيعية المنفتحة، والتعامل مع الواقع باعتباره مفردات دالة على وجود الله، واجبة الدراسة والتحليل والبحث في خصائصها، حيث إن هذا البحث يكمل ما ورد في كتاب الله المسطور: القرآن الكريم، وهي رؤية ينتج عنها اتساق واضح لا لبس فيه بين التدين، باعتباره التطبيق الشخصي والعملي للدين، والتحضر، وبين المفهوم الراقي للإسلام والتعامل مع مستحدثات العصر، مما يزيل الوهمين الكبيرين المسيطرين على الساحة الآن، وهما أننا لكي نستطيع أن نعيش التمدن والتحضر فنحن بحاجة لإزالة أحكام الإسلام والشريعة ونعيش بغيرها، وهو الوهم الذي منبعه رغبة استيراد نماذج معرفية غير صالحة لواقعنا الثقافي ولا متسقة مع القيم الدينية ولا حتى الأخلاقية الخاصة بنا.

أو وَهْم أننا لكي نستطيع أن نعيش الإسلام علينا أن نهجر هذا العالم الذي نعيش فيه، ونعود لعصر الصحراء، وعالم الناقة والخيمة حتى ننجو بديننا من الفتن اللازمة والمقترنة بالمستحدثات والمتغيرات التكنولوجية التي يشهدها عصرنا الراهن، وكلا الرؤيتان هما نوع من الكسل العقلي والهروب من واجب الوقت الذي يحتاج للمزيد من الجهد والدأب والسعي، والحل هو المزيد من الاستبصار لرؤية وفكر ومقولات فضيلة الدكتور علي جمعة عن خصائص عقلية المسلم في هذا العصر والزمان، والتي من أبسط سماتها القدرة على التعامل مع كافة المتغيرات والمستحدثات بما يحقق النفع والفائدة والمساواة والمواطنة للبشرية جميعها، فيصبح الباب مفتوحًا لحالة جديدة من حالات الحوار مع الأفكار والرؤى الثقافية والعلمية العالمية، وهو محل دراستنا القادمة المستفيضة إن شاء الله، أطال الله في عمر فضيلة الدكتور الإمام علي جمعة ونفعنا بعلومه في الدارين.



١٢ التصوف سر السعادة

إيمان الريطب



إن السبب الذي قاد الكثيرَ من الناس عبر العصور نحو التصوف لم يكن رغبة منهم في تحصيل انتماء فكري، بل كان وكما وصل إلينا عبر العصور من خلال تراجم السلف الصالح اندفاعًا نحو الحقيقة، نحو المعنى الأعظم المحقق للإحسان، وليس المقصود هنا بالحقيقة ذلك المصطلح الذي أَطلقه الغرب على البحث عن الإله؛ فهذا ليس منطلقًا علميًا ولا مقصدًا في الفكر الإسلامي؛ لأن التوحيد مستقر عند المسلمين، بل المراد بالحقيقة عند السادة الصوفية هو ذلك البرنامج المتكامل في التعرف على الله - عزَّ وجلَّ - بأسمائه وصفاته المُلزِم للترقي في مدارج الإيمان والإحسان.

التصوف تجربة عظيمة، تحملُ في طيّاتِهَا منافعَ كثيرة تتسلل لكل منافذ الحياة الحسية والمعنوية، يستشعر هذا بواقعية كلُّ مَن خاض هذه التجربة الحقيقية و يَشهد بما فيها من سعادة بعدما لاحظَ تغيرًا إيجابيًا في سُلوكه ومشاعره وأفكاره، تغيُّرٌ جلِي يُشيد به مَن حوله من أهل ورفقاء، ولا عجب، فالتصوف قائم على العلم والمتابعة بالذكر والفكر، وهي محاور كفيلة بأن تجعل أفكار السَّالك مستنيرة؛ لأنها متعلقة بمقصود أعظم وهو الله عزَّ وجلَّ.

ولذلك ولَمَّا كان ارتحال العبد إلى مولاه ظَهرت عليه مباهج لقيَاه، فوجدوا الفرق بين ما كان والآن، ومازالوا ينهلون ويشربون من تلك الوديان، فأولهم ذائق، وآخرهم غارق، وكل مَن ذاق عرف ومَن عرف اغترف.

من المفقود إلى الموجود

يعيش الإنسان الغائب بحِسّهِ عن المقصود في بحث مستمر عمَّ يَملأ جَوفه ويُذهب خَوفه، يسعى نحو سعادته بكل طاقته وما يفتأ يفقدها، ليُعيد السعي إليها بشكل آخر، بنوع آخر، بمذاق آخر، لكن الأمر سرعان ما ينتهي وفي بعض الأحيان ينتهي بانتكاسة وتعاسة. حياة لا معنى لها وكيانات مفرغة من معناها.

فمن جرَّب طريق أهل السعادة عَرف أن السعادة ليست هكذا، السعادة لا تستمر إلا بقصد الله عزَّ وجلَّ وهو ما أشار إليه السادة الصوفية بقولهم (تصحيح القصد)، ومعناه أن ينجمع عزم الإنسان وفِكره على الله عزَّ وجلَّ في كل شيء مهما تغيرت عليه الصور ورحل من رحل، وحضر من حضر، فمقصوده الله، وهو قصد عظيم كفيل بأن يجمع شتاته و يُصحح حياته، مهما تقلَّبت أحوالها، وتنَوعت مظاهرها تبقى واحدة في مكنونها؛ لأن فيها فكرة الواحد (الله). عندها سيرى مطلوبه في كل مطلوب، وحبه في كل محبوب.

من جرَّب ذلك عرف للحياة معنى، فلن يكون صباحه ككل صباح، هيهات بين مَن أصبح يبصر المقصود وبين مَن أصبح وعينيه على المفقود، الأول في حالة استقبال تفتح أمامه الآمال؛ فكل ما سيراه اليوم سيكون مولاه، أما الثاني، فمقيد بكدِّه ونظره وهواه، فأنَّى يراه. هكذا يرتحل بنا أهل الله من المفقود إلى الموجود.

من الجهل إلى المعرفة

الخوف، التوتر، الحيرة، الغضب، هكذا يعيش مَن انقلبت معلوماته وسيطرت عليه ظنونه واحتمالاته؛ ضغط نفسي، قلق، ضبابية في الأفكار، كلها أشياء تعكس مدى ضعف الحمولة المعرفية ومدى الاحتياج إلى مصادر تغذي العقل والروح، فكل همّ يجده الإنسان سببه وهم.

أما ما نراه من السمت الطيب في أهل الله من طُمأنينة وراحة وتوازن، فهو نِتاج لما حصَّلوه من عُلومٍ ظاهرة وباطنة، لذلك كان التعرف على الله ركنًا مهمًّا؛ فهو المصدر الذي يحمل المعاني الصحيحة المريحة للقلب، والتي تضمن للإنسان توازنه العقلي والنفسي.

يجد الفرق واضحًا مَن سلك سلوكهم في التعرف على الله - عزَّ وجلَّ - حين يقف موقفًا صعبًا في أرض فلاة يرى فيه قلوبا موات، و نفوسًا لم تجد حبلا للنجاة، وخير دليل ما نزل من آفات، ألم تلحظ كيف يكون حالهم في ثبات؟! يرى هذا من حَملته سفينته المعرفية فوق أمواج كالجبال، وأفضت به تجربته إلى بر الأمان، يرى هذا مَن ذَهب مضاربهم عندما يجد في ذخيرته مددا معرفيا يحميه من الانسياق وراء الأهواء، يجد هذا مَن تعلم منهم حين تختلط على الناس الأمور كيف يكون على نور، ومازال تابعًا دليلهم يقطف من ثمرات تعرفه على الله يومًا بعد يوم ما يُرضي ربَّه ويُثبت قلبَه ويُنمي حبَّه.

من السجن إلى الحرية

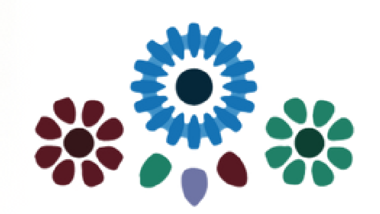
أول خطوات الطريق إلى الله التي أقرَّها المنهج الصوفي هي الخروج من الكذب والزور، وأن يكون المريد على طبيعته بغير تصنّعٍ ولا تكلف، فلا يدَّعي ما ليس له كي يحَسِّن منظره أمام الناس. نقلة فارقة يفهمها مَن عاش ضغوط التربية والمجتمع، كأشياء تضافرت في تكوين شخصية هشَّةٍ تختبئ وراء الصِّور خَوفًا من المعاقبة وطمعًا في المحبة، خوفًا من أن تكون عرضة للنفور ورغبة في إثبات الحضور.
يعيش المرء جرَّاءها في زنزانة - وإن بدَت عليه سمات القوة والرزانة - ضعيفًا منهكًا مشحونًا بالقلق لا يحب الخلق؛ لأنه ملَّكهم مفتاح فرحه وحزنه، ولا يحب نفسَه؛ لأنه لا يعرف نفسَه.

هل جربت الحرية ؟! أن تكون على السجية! أن تكون أنت بنظرتك وقدرتك، سعادتك بيدك، مستقبلًا لقدرك، هكذا هم الصوفية يعيشون أوقاتًا هنية في عبودية لله عزَّ وجلَّ ينظرون إلى مِداد الحُبِّ يَكتب أقدار الربِّ في كل صورة ونفْس وقلب.
إنه ذوق الحرية يستعذبه مَن ارتاض في ميادين أهل الشفافية.

من الانفصال إلى الاتصال

تلك الحركة التي نشعر بها في صدورنا كلما ذُكر اسمه، تلك الأخطاء التي نرتكبها ثم نَذكُره، تلك الرهبة لجماله كلما تحرك فينا معناه أو هبَّت علينا نسمة من حماه، ثم نتساءل هل فعلًا أحبه؟ لكن لو أحببته لأطعته! بل لست أهلًا لقربه سبحانه. هواجس أحسَّها مَن مرَّ بها. كم أبعَدته، وكم غَرَّبته، وكم عذَّبته، ثم تلمحك الأقدار وتُرسل لك مَن يمسح عنك الغبار ويربطك بقلب المختار، إنه الشيخ، تلك اليد التي تمتد لك من مكان بعيد لتنشلك من وَهْمك وهَمِّك. تلك الضربة التي تعيد للقلب خفقانه، وللدم جريانه، لا أحد كان يشعر بموتك غيره، لا أحد يفهم ضيرك غيره، ومَن غيره قادر أن يعرف مطلوبك وأن مُصابك محبوبك، مَن يستطيع أن يخبرك أن ذَنبك لا ينفي حبَّك. وحده يُعلِّمك يُهذِّبك يُقرِّبك خطوة بخطوة؛ حتى ترى ربك. يد تتصرف في قلبك، تنور أفكارك وتهذب مشاعرك، تربطك بذاتك وتجود علاقاتك. إنه سند من عترة رسول الله ﷺ في زمن عزَّت فيه الحكمة، ستأتي عليك أوقات مدلهمات تصعب فيها القرارات حين لا تدري ما عليك أن تفعل، حين لا تدري ما عليك أن تشعر سينجدك بالبصيرة وينقذك من الحيرة. الحياة قبل الشيخ وبعد الشيخ كالفرق بين الحياة والموت.

هذا ما يفعله الصوفية، فماذا فعل غيرهم؟







ملخص كتاب

الإشراقات عند الصوفية

حقيقتها وأنواعها وأدلتها الشرعية

مصطفى حسني

أولا : مؤلف الكتاب هو : الدكتور : مختار محسن محمد، أمين الفتوى بدار الإفتاء المصرية حفظه الله، والكتاب صدر بمقدمة لفضيلة شيخنا وسندنا سيدي الأستاذ الدكتور علي جمعة عضو هيئة كبار العلماء وشيخ الطريقة الصديقية الشاذلية.

ثانيا : سرد ملخص للكتاب.

١. أشار المصنف حفظه الله أنَّ أصلَ فِكرَةِ الكتابِ كانت للأستاذ الدكتور علي جمعة عُضو هيئة كبارِ العلماء بالأزهر الشريف وشيخ الطريقة الصديقية الشاذلية، وإمام مدرسة الإحياء والتجديد الأزهرية حفظه الله ونفع به البلاد والعباد، وقد قام المصنف بجمع هذه الاشراقات من كتب السادة الصوفية وعرضها على فضيلته، واستوضح ما كان خفيًّا مِن كلام القوم، و بتوفيق الله استخرج المصنف ٢٠ إشراقة، وعَمِلَ على سبر أغوار هذه الإشراقات والآثار التي تحدثُ للسَّالك أثناء سَيرِه إلى الله، في الطريق الذي مبناه الذكر والفكر والمجاهدة.

٢. بدأ المصنف حفظه الله ببيان الغَرضِ مِن تأليفِ الكتابِ بقوله: «إن التصوف الإسلامي هو برنامج عملي للاستفاده من مواريث النبوه من أجل الوصول إلى المعرفه الصحيحة بالله جل جلاله، وأن السائرين والسالكين إلى الله ستَعرُض إليهم في رحلتهم بعض الأمور، التي أطلق عليها لفظ "الإشراقات"».

٣. قدَّمَ في الكتاب دراسة تفصيلية في بيان حقيقة هذه الإشراقات وتفصيل أنواعها، وما قاله سادتنا الصوفية فيها، وما نُقل عنهم من إرشادات سلوكيةٍ وتَجارُبَ روحية؛ لينتفع اللاحق بالسابق ويسير الخلف على خُطى السلف، قال تعالى ﴿ وَاتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ﴾.

٤. وضَّحَ المُصنِفُ حفظه الله أن أهم أغراضِ هذه الدراسة بيانُ مُوافَقِة علوم ومعارف السادة الصوفية لِمَا جاء به الوحي الشريف، فلا يقع منهم إلا كل ما وافق الشرع وتأيَّدَ به، واذا أثمرت تجربتهم عن أمرٍ مُخالف للشرع كانوا أبعد الناس عنه.

٥. قام المصنف حفظه الله تعالى بتتبّع ما نُقِلَ عنِ السَّادة الصوفية في بيان تلك الإشراقات، وأنواعها، ثمَّ عَرضَ ما يُؤيّدُ ذَلِكَ مِن قواعد الشرع ونصوصه بما يثبت الاتساق والتوافق بين علوم القوم وتجاربهم الروحية وبين الشرع الشريف.

و لنبدأ ببيان معنى الإشراقات

الإشراقات لغة بمعنى الإضاءة والفتح، أمَّا اصطلاحا عندَ السَّادة الصُّوفية، فهي بمعنى ما يحدثُ أثناءَ سَيرِ السَّالِك في الطريق إلى الله من آثارٍ بِسببِ هذَا السّير ظاهرًا وباطنًا.

والسَّرُ في ذَلِكَ، كما يَذكُر المُصنف هو رياضةُ النَّفس ومجاهدتها حتى تستولي أنوار القلب على ظُلماتِ النَّفس وغرائزِهَا، ومن هُنا جاءت فكرة الإشراقات والأنوار. وأكد المصنف على أن تلك الأنوار والإشراقات الحاصلة من مجاهدات النفس إنما تخضع لاتباع الكتاب والسنة وغايتُها معرفة الله وطريقها محفوظ بوصايا رسول الله ﷺ، وتجارب الشيوخ العارفين.

وقد قَسَّمَ المُصنِّف الإشراقات إلى عشرين إشراقة: ومن هنا نبدأ

الأول: الوارد

عرفه سيدي ابن عجيبة في إيقَاظِ الهِمم، فقال الوارد: هو الطارق أو القادم وهو ما يتحفه الحق سبحانه قلوب أوليائه من النفحات الإلهية فَيُكسِبُه قوةً محرّكةً،

وربما يدهشه أو يُغيّبُه عن حسّهِ، ولا يكون هذا الوارد إلا بغتة ولا يدوم على صاحبه، وهذا الوارد إنما المراد منه ثَماراتُه ونتائجُه وما يعقبه من اليقين والطمأنينة والرضا والتسليم لله تعالى.

ثم أوصى ألاَّ يَقِف السَّائرُ المريدُ عندَ الوارد، إنَّما لَهُ في الله غِنىً عن كل شيء، ومن علامات انتفاع المريد بهذا الوارد أن يكون ثمرته الاستمرار في العبادة ودوام التعلق بالله، حتى لا يلتفت عن المقصد الأجل وهو الله عز وجل.

وذكر أنَّ هذه الواردات لها آثار مختلفة على قلوب السائرين إلى الله، كمثل الماء الذي ينزل من السماء على الأرض، فيُنبِتُ زروعًا مختلفة تُسقى بماء واحد، فَمِنَ النَّاس مَن تُؤثِّر فيه الواردات، فيظهر ذلك في صورة بكاءٍ أو وَجْدٍ، ومنهم من لا تُرى عليه آثار الواردات، وليس ذلك لقسوة قلبه، بل لارتفاع شأنه ورسوخ قلبه في الحضرة الإلهية، فهو دائما في الواردات يحيا، فلا ترى عليه تأثُّرًا ظاهرا . ثم أشار إلى أن السَّائر إلى الله يَفرَحُ بالواردات من حيث إنها نعمة تُوصِلُه إلى الله ولا ينشغل بها عن مولاه سبحانه.

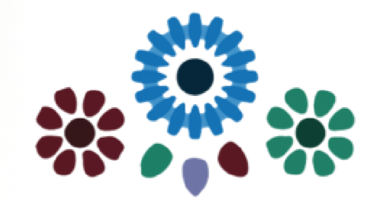
الثانية: الخواطر

أما الاشراقة الثانية التي أوردها المُصنّف، فهي الخواطر:
وعرف المصنف الخاطر بتعريف المرتضى الزبيدي في تاج العروس، قال الزبيدي الخاطر: «ما يخطر في القلب من تدبير أو أمر»، ثم انتقل إلى كلام ابن عجيبة في تقسيمه للخواطر وأنها أربعة: ملكي ورباني ونفساني وشيطاني، فالملكي والرباني لا يأمران إلا بالخير، والنفسّاني والشيطاني لا يأمران إلاَّ بالشر.

وفرَّق بينَ الخَاطر النفساني والشيطان، بأن الخاطر الشيطاني يَزولُ بالذِّكر، بخلاف الخاطر النفساني الذي يبقى في النفس ويحتاج إلى مجاهدةٍ و فكر، ثم أشار المُصنّف إلى مِعيارِ قَبُول الخَواطِر عندَ الصوفية، وهو أن تكون خاضعةً للشرعِ الشريف؛ لقول الإمام الجنيد سيّدُ الطائفتين: «أن النكتة لَتَقَعُ في قلبي فلا أقبلها إلَّا بشهادة عدلين، الكتاب والسنة»؛ إذ لا عمل إلا بعلمٍ، والعلمُ مَصدرُه كلامُ الله ورسولُه، كما أشار المصنف إلى ذلك مِن كلامِ الإمام الزّركشي رحمه الله.

وأنهى المُصنف هَذِه الإشراقة عن الخواطر بكيفية دَفعِ الخواطر الرديّة، أو الوساوس الشيطانية، وبدأ بوصية تَرك فُضول النَّظر، الذي يُؤدي إلى فُضول الشهوة، وقصدَ مِن فُضولِ النَّظرِ كثرةَ النَّظرِ إلى مُستحسناتِ الدُّنيا ونعيمها، وزهرتها و الذي هو فوق الحاجةِ، واستشهد بقول مولانا سبحانه ﴿وَلا تَمُدَّنَّ عَينَيكَ إِلىٰ ما مَتَّعنا بِهِ أَزوٰجًا مِنهُم زَهرَةَ الحَيوٰةِ الدُّنيا لِنَفتِنَهُم فيهِ﴾، فإنه «مَن كَثُرت لحظَاتُه دامت حَسَراتُه»، و"مَنْ أرسلَ طَرفَهُ اقتَنَصَ حَتفَهُ"، وبالأولى تَركُ النَّظَر إلى الحرام، فهو أكثرُ إهلاكًا.

أما الطريقةُ الثانية لدفع الخواطر الرديّة والوساوس الشيطانيةِ، فهي المجاهدةُ في نَفي تِلك الخواطر، ولذلك طريقان:
الطريق الأول: مُداومة الذكر الذي يَنفِي عنِ القَلبِ الوسَاوسَ الشيطانية، والأفكار السلبية والعقائد الرديَّة التي قد تَخطُر على قلبِ السَّائر إلى الله، ثُمَّ إذا جاءته خواطر جعلته يتشكك في بعض أُمور دِينه ولم يدفعها الذكر؛ لجأ إلى الطريق الثاني.
الطريق الثاني: و هو عرض تلك الشكوك والتساؤلات على شيخه الذي بِدوره يُساعده على ترك هذه الوساوس بالفكر وبالعلم الصحيح الذي يحل في القلب محلَّ الشكوك والأوهام، فكانت هذه أنواع الخواطر عندَ السَّادةِ الصُّوفية، وكيفية دفع الرديّ منها، و بهذا ينتهي كلام المصنف عن أول إشراقتين: "الوارد و الخاطر"، و الحمدُ لله، وصلى الله على سيدنا محمد و آله و صحبه وسلَّم.





١٤ لماذا تصوَّفتُ؟

حسن جابر

لا أنسى تعنيفَ مُدير مدرستي ذات الطابع الإسلامى لي ولزملائي بعد خسارة مدرستنا فى مسابقة أوائل الطلبة أمام فريق مدرسة "الراهبات الفرنسيسكان"، تقريعٌ مؤلم لازلت أذكره ليس لمُجرد خسارتنا بل لأن مدرستنا الإسلامية خسرت أمام المدرسة غير الإسلامية.

بهذا التصوير الطائفى الذى تربينا عليه فى هذا النمط من التديُّن الشائع، فلكي تكونَ مُتديناً لابد أن تعيشَ نفسيَّة الصراعِ، لا بُدَّ أن ننتصرَ فى معركةٍ ما، لا تتفوق من أجل التفوق ودعم قيمة الاجتهاد، لا، تتفوق لتمحق الغير؛ لأننا لا نتقبل وجود الغير.

ثمّ لمَّا بلغتُ مَرحلةَ التمييز، وجدتُ فى دَاخلي رغبةً وشعورًا بالقرب الروحى من الله، فأشار أحدهم عليَّ بالذَّهَاب لمسجدٍ يُعطى دروساً، كنت أتصور أن أذهب فيسكُن باطني الراغب فى الوصول إلى الله، فإذا بالمتحدث في بادئ حديثه قبلَ أن يُعرّفنا على الله الذى نعبد، وقبل أن يُعرَّفنا على طريقٍ نلزمه، طريقٍ مَنهجيٍّ معلومَ المَلامِحِ؛ إذ بهِ يتحدّثُ عن فلانٍ وعلّان ويصوّر أنه لكى يكتملَ تديُّنك وإيمانك لا بُدَّ أن تقيّم وتحكُمَ على إيمان الآخرين، وأنه لن تصل حتى تتبرأ من هؤلاء وهؤلاء في منهج مقدس عندهم سمّاهُ: " الولاء والبراء".

يا إلهي! هل سيسألنى الله عن الآخرين؟ وليسَ وصولٌ من غير أن أبحثَ فى نوايا وبواطن الخلق؟ ما هذا الإرهاق؟

ثم يأتى مشهدٌ آخر فى منزلنا حيث شاعت فضائياتٌ تسيرُ على هذا الدّرب، وكان من المفترضِ أن يكون ما هو في صُورةِ التديُّن أن يلامسَ قلبى فيرق أو أشعرَ منه بلذة أُنسٍ أو قُربٍ، لكنّنى على العكسِ لم أكن أشعر إلا بجفاء.

أين روحانية الدين التى يتحدثون عنها؟ لماذا لا أشعرُ بالوصل؟ لماذا يُردد هذا الرجل كلاماً فيه كآبة؟

ثلاثة مشاهد من مشاهد كثيرة أبقت فى نفسى تساؤلاتٍ كامنة، روحى تلفظها لكنّى لا أستطيع التعبير عنها، إذ كيفَ أعترض على ما يبدو أنه الدين الحق؟

ثمّ تراكمت هذه الأفكار حتى وصلت إلى مرحلة الشعور بالصدام بين الدين والحياة، وأننى لكى أكون متديناً لابد:

- أن أعيش فى صراع مع الواقع وأُقيّم وأحكم على نوايا الآخرين وأن أصارع كل الخلق، ولكنى لا أصارع نفسى الأمارة.
- أن أعيش هذا الشعور بالجفاء وأن أي خطابٍ آخرَ هو خطابٌ مميع.
- أن أعيش على المواعظ اللحظية وكلمة من هنا وكلمة من هناك بلا منهجية واضحة، ويصاحب هذا إحساس واضح بانعدام الهدف ومعرفة مقصود، وبدون مُرشد؛ إذ أنا مؤهلٌ للنظر والسيرِ وحدى.
- دام الصراعُ النفسى وفاض لدرجة الشعورِ بالرغبة فى الابتعاد عن كل ماهو دينى، وبالفعل قررت الابتعاد رأفة ورحمة بنفسى الحائرة التائهة، واكتفيتُ بالصلاة والسلام على سيدنا رسول الله ﷺ كما نصحنى أحدهم.

وفى تبعات هذه الفترة وقع فى يدى كتاب للإمام الحُجّة أبى حامد الغزالي، يُسمّى: المنقذ من الضلال، لفت نظرى الاسم، وسبب كتابة الكتاب إذ عاشَ الغزالي فترةَ شكٍ وعزلة واتهامٍ للنفس، وهو في أَوْجِ شُهرَتهِ، وحكى عُصارة تجربتِه، تصفحتُ الكتابَ ولفت نظرى نصٌّ بديعٌ قاطع، واعتقد أنه كان محورياً لى:

«ودمت على ذلك مقدار عشر سنين، وانكشفت لي في أثناء هذه الخلوات أمور لا يمكن إحصاؤها واستقصاؤها،

والقدر الذي أذكره لينتفع به، إني علمت يقيناً أن الصوفية هم السالكون لطريق الله تعالى خاصة وأن سيرتهم أحسن السير، وطريقهم أصوب الطرق، وأخلاقهم أزكى الأخلاق، بل لو جمع عقل العقلاء، وحكمة الحكماء، وعلم الواقفين على أسرار الشرع من العلماء، ليغيروا شيئاً من سيرهم وأخلاقهم، ويبدلوه بما هو خير منه، لم يجدوا إليه سبيلاً. فإن جميع حركاتهم وسكناتهم، في ظاهرهم وباطنهم، مقتبسة من نور مشكاة النبوة، وليس وراء نور النبوة على وجه الأرض نور يستضاء به.وبالجملة، فماذا يقول القائلون في طريقة، طهارتها - وهي أول شروطها - تطهير القلب بالكلية عما سوى الله تعالى، ومفتاحها الجاري منها مجرى التحريم من الصلاة، استغراق القلب بالكلية بذكر الله، وآخرها الفناء بالكلية في الله؟!»

ثمّ بدأ بصيصُ النور بعد الاطلاع على منهج التصوّف؛ فوجدت فيه ما يلى:

ـ كما أن الأبدان بحاجة إلى رعاية فكذلك الأرواح والأنفُس بحاجة إلى رعاية دقيقة، ولا أحد خبير بدقائق النفوس وأحوال الروح من المنظور الدينى غير السادة الصوفية المُتحققين، ووجدتُ أن أكثر من يتكلم فى أمور النفس بخلاف السادة الصوفية يكون مدّعياً لإنه علمٌ يحتاجُ إلى سند، فتجد كلامهم يمسّ القلب ويغيّر الحال ببركة السند وليس معلومات نظرية خالية من الروح.

ـ لإن السَير مع السادة الصوفية سَيرٌ نظاميٌ منهجيٌ مرتّب معلوم الملامح مدروس مُجرّب، ليسَ سيراً عشوائياً يمنع فُرصَةَ التراكُم، ويمنع بناء الإنسان الحضاري المتكامل والمتوازن بين الروح والمادة، فتجد المدّعين يشغلونك بالالتفات للناس والانشغال بأشياء لا تخصّك، ويمنع هذا عليك تخمّر وبناء نفسك ومعالجتها قبل التصدر والانشغال بالغير.

ـ لإن التصوّف يدعو إلى محو الذَّاتِ والارتكان على حول الله وقوته و التعبُّد بالأسباب وليس الاعتماد عليها، وهذا هو مَقصدُ فِكرةِ الدِّين أصلا "الفناء عن الذات"، فتجدهم خاليين من الأمراض النفسية، ليس عندهم صدام مع الواقع؛ لأنهم أدركوا أنَّ الحول والقوة والفعل والتغيير من الله، وما نحنُ إلا صورٌ وأسباب، لكن الآخرين يدعون إلى تعظيم الذات والاعتقاد في النفس التغيير والاعتقاد بأن الذات هي محل التدبير والفعل وما يترتبُ على ذلك من أمراض وتذمّر وكآبة؛ لأنه متصادم مع الواقع وعدم تصالح مع أقدار الله الكونيّة.

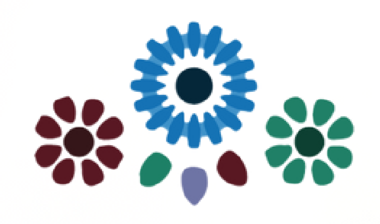
ـ لأنّ لا أحد يدعو إلى حب شخص النّبى ﷺ حباً شاعرياً فيه هيامٌ وعشقٌ غيرهم، وهذا أصلُ الإيمان، الحُب القلبى الحقيقي؛ حب لشخصه وذاته، ولا أحد يدعو إلى كثرة الصلاة والسلام على حضرته كثرة مُفرطة غيرهم.

ـ لأنّه لا أحد يحقق فكرة الأستاذية فى التربية غيرهم، لا أحد يملك منهجاً يحوى مصطلح الشيخ المُربى، وأن يكونَ هناك شخص يتابعُكَ ويتابعُ أورادك ويدعو لك وتلازمه غير السادة الصوفية، فى تحقيقٍ حقيقى لمفهومِ الصحبة ومفهوم الإرشاد والاستعانة بالخبرة، وليس الاعتماد على نظرتى المحدودة كشخصٍ مبتدئٍ متغيرةٌ نظرته فى الحياة كل يوم.

ـ لأنه لا أحد لديه تحقيقٌ بل إدمانٌ على ذكر الله غيرهم، تجدهم يذكرون الله ذكراً كثيراً ببرامجَ معروفةٍ ومجرّبة لدرجة أن نورَ الذكر يختلط بجسمه ودمه، فتتجلى صفات المذكور عليهم فتجد أشخاصاً رحمانيين ربانيين قلوبهم ملأى بالحب والبركة والنور والجمال.

هذه المفاهيمُ رغم سهولتها كانت بداية الفتحِ وبداية الوصل بعد كثير من التخبط، كانت بداية شهود الأنوار وبداية خوض رحلة تغيير قلب وفكر يصعُب حصرها فى مقال، كل هذا ببركة الصلاة على سيدنا رسول الله ﷺ الفاتح لما أغلق.

وصلّى الله على سيدنا محمد سبب كل خيرٍ وعلى آله وصحبه وسلّم تسليماً.





١٥ النبيُّ أوْلى

عبدالله أبوذكري

رسول الله ﷺ قدره عظيم ومقامه رفيع عند مولاه الذي تولّاه، فهو ﷺ النموذج العملي الذي أراد الله لنا سبحانه وتعالى أن نتمثله في حركاتنا وسكناتنا وجميع شئون حياتنا، وجعله محور التعرف إليه سبحانه وتعالى، والطريق الوحيد إليه، وقطع الطُّرق التي لا تعتمد عليه، فأمرنا أن نأخذ منه كل شيء: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمۡ عَنۡهُ فَٱنتَهُواْ﴾، فلم يقل «وما أمركم» بل نصّ صراحة على أنّ كل ما منه ﷺ فهو عطيّة لنا واجبة الأخذ والقبول ﴿فخذوه﴾، قال ﷺ: «إنما أنا قاسم والله يُعطي» فكل عطاء من المولى سُبحانه فهو بواسطته الشريفة ﷺ، وعطاء الله لا ينفد، فدلّ على أنّ الاستمداد دائم منه سبحانه وتعالى بواسطته ﷺ، ونصّ على الرسالة في إشارة إلى جسده الشريف، فنبوّته سابقة على الأجساد وظهورها، وأشار إلى حياته الشريفة في برزخه الشريف حياة لا مثيل لها، إذ الآية مطلقة غير مقيّدة بزمان ولا بمكان، فنحن في كنف رسول الله ﷺ ليل نهار، هذا هو كنف الله جل في عُلاه.

وجعل مبايعته ﷺ عين مبايعته سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ ٱللَّهَ يَدُ ٱللَّهِ فَوۡقَ أَيۡدِيهِمۡۚ فَمَن نَّكَثَ فَإِنَّمَا يَنكُثُ عَلَىٰ نَفۡسِهِۦۖ وَمَنۡ أَوۡفَىٰ بِمَا عَٰهَدَ عَلَيۡهُ ٱللَّهَ فَسَيُؤۡتِيهِ أَجۡرًا عَظِيمًا﴾، ومبايعته ﷺ أمر لا ينقضي ولا يتقيد بزمان ولا بمكان، فمعلوم أنّ هذه الآيات نزلت بعد بيعة الرضوان في صُلح الحُديبية، فقد نزلت بعد المُبايعة، فلو كان المقصود بها أهل زمانه ﷺ لقال: ﴿إن الذين بايعوك﴾، ولكنّه جل في عُلاه قال: ﴿إن الذين يبايعونك﴾ ففي كل زمان ومكان بيعات تتجدد له ﷺ ممن يريد أن يدخل في رضا الله ويعرفه سبحانه وتعالى حق المعرفة، ومن بايع ورثته من المشايخ الكُمّل من أهل الإسناد فكأنّما بايع رسول الله ﷺ، فهي بيعة في بيعة، لأنّ كل وليّ يستمد نوره من نوره ﷺ، فهو فرع عن أصل، وغُصن من غُصن من جذع من شجرة طيبة أصلها ثابت وفرعها في السماء،

ثم قال ﴿إنما يبايعون الله﴾، هكذا بلا فاصل، حصرًا وقصرًا، أي أن بيعته ﷺ هي عين بيعة الله، ولم يقل «كأنما يبايعون الله» بل قالها صريحة ﴿إنما يبايعون الله﴾ فهذه حقيقة كالشمس في رابعة النهار، من بايع فقد بايع المولى سبحانه، ثم أكدها تأكيدًا فقال: ﴿يد الله فوق أيديهم﴾، فتأييده سبحانه سارٍ لكل من بايع وأوفى، لهذا اهتمّ أهل الله من أهل التزكية بالبيعة والعهد إحياءًا لهذه السُنَّة وامتدادًا لها ببركة السند حتى يحدث الاتصال الحقيقي بالحضرة النبوية الشريفة.

وأبان لنا ﷺ عن وجوب محبّته وتقديمها على كل مخلوق فقال: «لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من ولده ووالده والناس أجمعين»، وفي رواية سيدنا عمر بن الخطاب: «ونفسه التي بين جنبيه»

فرسول الله ﷺ أولى بمحبتك من أبيك وأُمِّك وأبناءك، ومن محبتك لنفسك، حتى قالها سبحانه وتعالى مُطلقًا هكذا: ﴿ٱلنَّبِيُّ أَوۡلَىٰ بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ مِنۡ أَنفُسِهِمۡ﴾ أولى من نفسك، أولى بماذا؟، بأي شيء وكل شيء، فهو أولى بك منك، فإذا أردت أن تتحقق برضا المولى سبحانه وتعالى فعليك بتقديمه ﷺ على كل أحد، على كل شيء، على نفسك، وهو أولى بها من وقت نبوّته، أولى بها من وقت عالَم الذرّ، قال ﷺ: «كُنت نبيًّا وآدم منجدل في طينته» فهو أولى بنا من قبل خلقتنا ﷺ، فإذا استشعرت استمدادك منه ﷺ أبدًا في كل نَفَس استقبالًا لعطاياه المستمرة من مولاه جل وعلا، وتحققت ببيعته القلبيّة ومصافحته بالقبول والملازمة لورثته ﷺ من أهل الإسناد، وقدّمته على نفسك في كل شيء، وجعلته حاكمًا على كل ما يعرض لك ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤۡمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيۡنَهُمۡ ثُمَّ لَا يَجِدُواْ فِيٓ أَنفُسِهِمۡ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيۡتَ وَيُسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا﴾، فقد تمّ لك المقصود وما بعده ففضل لا يتناهى وبركة لا تزول.



س١: ورد في عدد من الأحزاب الذكر بـ (أَحُونٌ قافٌ آدُمَّ) فما معناها؟

الإجابة: هناك علاقة ما بين الحروف وبين الأعداد، وبين جريان أجرام السماء في السماء وبين أحوال شأن الإنسان في الأرض، وهي علاقات لا تصدر إلا عن حكيم، ولذلك فكلما اطلع الإنسان على هذه العلاقات التي يتعجب منها لا يمكنه إلا أن يقول إن الذي خلق هذا الكون وأوجده وكان سببا في إنشائه وقال له كن فيكون لا يمكن إلا أن يتصف بصفات الكمال والجمال والجلال، لا يمكن إلا أن يكون كذلك.

فهذه العلاقات اكتشفها الأقدمون، وورد ما يدل على أن سيدنا إدريس أول من ألهمه الله وأوحى إليه بمثل هذه العلاقات. هذه العلاقات تفنن فيها المتفننون، وفتح الله على عباده في إدراكها، ووجد الباحثون فيها أن لها علاقات مع أسماء الله الحسنى الموجودة في الحديث والروايات المختلفة وعددها في القرآن الكريم أكثر من ١٥٠ اسماً وفي السنة أكثر من ١٦٠ اسماً وفي المجموع بينهما أكثر من ٢٤٠ اسماً، ووجدوا أن هناك علاقات بين هذه الحروف وهذه الأعداد وهذه الترتيبات. وكانوا سادتنا: سيدي أبو الحسن الشاذلي وسيدي عبد العزيز الدباغ وسيدي إبراهيم الدسوقي متبحرون فيها، وبناء عليه وُضِعت مثل هذه التركيبات.

هذه التركيبات لها في كثير من الاحيان تفسير ولها معنى، ولكن المشايخ لا يريدون أن تكون شائعة في الخلق؛ لأنها تشتمل على معاني قد تثقل فى الفهم إلا بعد فهم هذه العلاقات وتلك الجداول إلى آخرة، ومن هنا قال رسول الله ﷺ: «فمن وافق خطه خطه، فذاك» أي خط النبي الأول الذي اكتشف وأوحى الله إليه هذه العلاقات فسيصل إلى شيء.

فلما رأينا الخير جرى على يد أولئك الأكابر من الائمة الذين يأمروننا بذكر الله والتوحيد الخالص والعبادة وكل هذه الأخلاق الطيبة ويأمروننا ألا تكون الدنيا في قلوبنا وإذا كانت تكون في أيدينا، وأن نكون في الدنيا كعابر سبيل، لم يطلبوا سلطاناً ولا دنيا ولا شيء من هذا، ولم يأمروننا بالسيء من الأخلاق، عرفنا أن الله فتح لهم وبهم وعليهم هذه العلوم. إذاً هذه الأمور لها دلالات على تلك العلاقات التي بين الحروف والأعداد، ولكن ليس من الضروري أن نعلم معانيها الدقيقة؛ لأن معانيها الدقيقة تحتاج إلى إيضاح يمكن أن يُشرح في ورقات كثيرة حتى نستوعب ما المراد منها. ولكن القرآن الكريم أشار إلى هذه الحروف المقطعة في أوله: ﴿الٓمٓ﴾، وكذلك في أوائل بعض السور ﴿حمٓ﴾ ﴿قٓ﴾، وهكذا وكأنه يشير إلى شيء من هذه العلوم. ويجب علينا أن نسعى في فهمها وعلمها وليس في محيط معرفتها هكذا، بل إن ورائها أسرارا كثيره يمكن أن تفيد في الدعاء، فلأننا سلمنا لسيدي أبو الحسن الشاذلي علمه وفضله وإمامته فعلناها

س٢: كثرت الفتن من حولنا وكثرت الحيرة، فماذا نفعل حتى ننجو؟

الإجابة: بَطِّل (امتنع عن أن) تذاكر الفيس بوك والانترنت هتلاقيك (سوف تجد نفسك) مبسوط آخر انبساط (في راحة)، فالحيرة تأتي من انشغال أنفسنا بما لم يشغلنا الله به.

س٣: متى نجعل أبنائنا يلتزمون بالأوراد؟

الإجابة: عندما يطيقون ذلك، ويتراوح هذا من سن العاشرة إلى الثانية عشر.

س٤: هل يشترط في الصلاة التفريجية نية واحدة؟

الإجابة: لابد أن تكون لنية واحدة ولا يجوز فيها تعدد النيات.

س٥: هل يشترط إتمام عدد الصلاة التفريجية (٤٤٤٤) فى يوم واحد؟

الإجابة: ليس من الشرط أن تكون فى يوم واحد، وإنما عندما تتم يقبل الله الدعاء كما هو مجرب.

س٦ ممكن ذكر لتيسير الحال؟

الإجابة: أقرأ سورة الشرح ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ﴾ ٤٠ مرة، فييسر الحال.

س٧ ممكن ذكر للخلاص من القلق والهم والغم؟

الإجابة: اذكر الله بالاستغفار، كل هذه الأشياء تذهب بالاستغفار بلا عدد، أي بأعداد كبيرة كما تريد.

س٨: هل يوصى بقراءة حزب البحر ٧٠ مرة تحديدا لتفريج الكُرب؟

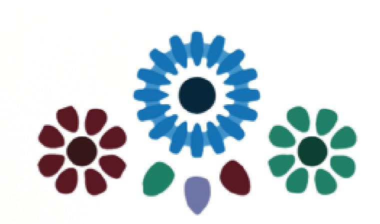
الإجابة: ورد قراءة حزب البحر بعدد ٧٠، وكذلك ورد بعدد ٣١٣ (على عدد أهل بدر)، وقالوا ١٠٠٠ مرة لأن الألف هي نهاية العدد عند العرب، وقالوا كثيرا من هذا. وعلى كل حال جرب وافعل والله- سبحانه وتعالى - ينفعنا بدعاء الصالحين.

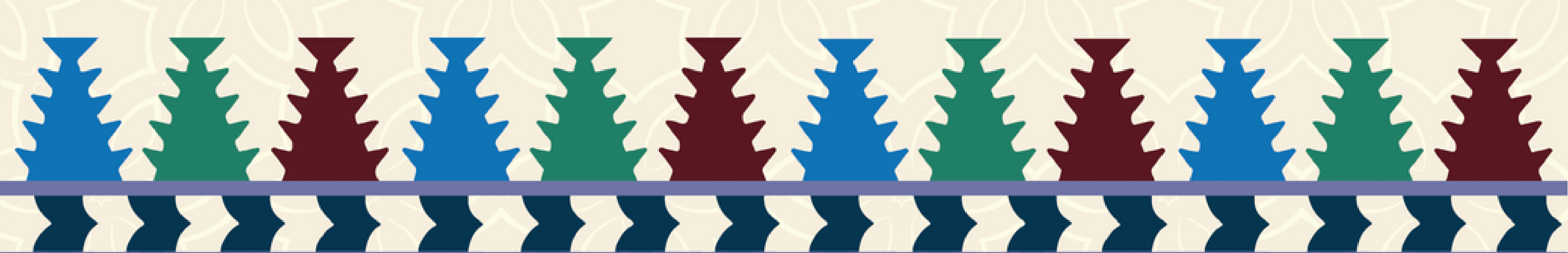
س٩: الآية الكريمة ﴿مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ﴾ [الانفطار: ٦]، كيف نتعلق بهذا الاسم (الكريم) دون أن نقع في الغرور؟

الإجابة: اذكر (يا كريم)؛ لأن يا كريم هذا قال بعض الناس لعله اسم الله الأعظم، فهذا الاسم له قيمه كبيره، وعدده ٢٧٠.

س١٠: ماذا عن الورد الثابت وورد الأسماء، متى أبدأ الذكر بأحزاب الإمام الشاذلي؟

الإجابة: ابدأ من الآن بالذكر بهذه الاحزاب؛ لأنها عباره عن دعاء ومناجاة وتوسل لله، وكذلك كنوز الأسرار فسيدنا الشيخ القاضي قال عنها إنها أقرب وسيله للوصول إلى الله - سبحانه وتعالى - فيجب علينا أن نسير فيها.





يـا مـن تعـاظـم حتى رقّ معنـاه

ولا تـــردّى رداء الكِبْـــرِ إلا هُـو

تـــاهـو بحبـك أقـوام وأنـت لهـم

نعم الحبيـب وإن هـامـوا وإن تاهـوا

ولي حبيـب عـزيـز لا أبـوح بـه

أخشى فضيحة وجهي يـوم ألـقاه

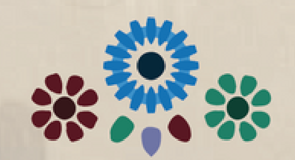
قالوا أتنسى الذي تهـوى فقلت لهم

يا قوم من هو روحي كيف أنساه

ما غاب عنّي ولكن لست أبصـره

إلا وقلت جهـــارًا قـل هـــو اللّه

الإمام الرفاعي



صور الكود للدخول
لموقع الصديقيّة

